

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مخاطر الإلحاد
وسبل المواجهة

إعداد
الإدارة المركزية للسيرة والسنة
بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة

إشراف وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾

(محمد: ١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد :

فمع أننا ندرك أن الإلحاد له أسباب عديدة فكرية ونفسية وفلسفية ومجتمعية إضافة إلى غلو الجماعات المتطرفة ، فإننا لندرك أيضًا أن هناك قوى معادية لديننا وأمتنا ومنطقتنا تعمل على دعم الجماعات الملحدة ونشر الفكر الإلحادي ، قصد هدم مجتمعاتنا من داخلها ، بالإرهاب المصنوع تارة ، والإلحاد الموجّه أو المموّل أخرى ، وتارة عن طريق إثارة النعرات العرقية أو القبلية أو الطائفية أو المذهبية ، وأخرى عن طريق بث الشائعات والأكاذيب ، فقد صار الإلحاد موجهًا ومسيَّسًا ومصنوعًا وممولًا ، قصد الإسهام في إحداث حالات الفوضى والإرباك ، إذ لم تعد كثير من الأمور في مجتمعاتنا عفوية أو طبيعية ، وأضحت مخططات الأعداء تستهدف كل جوانب حياتنا ومقوماتها ، فمن وجدت فيه ميلًا إلى التدين حاولت جرّه نحو التشدد والإرهاب والتطرف ، ومن وجدت فيه نفورًا من التدين حاولت جذبه أو استمالته نحو الإلحاد والأفكار الهدامة ، ومن وجدت فيه

بوادر عصبية دينية أو مذهبية أو قبلية أو عرقية عملت على تغذيتها فيه ، مما يتطلب التوعية بمخاطر كل هذه الظواهر السلبية.

وتهدف مخططات الأعداء لنشر الإلحاد المسيس أو الموجه الممول إلى نزع القيم الإيجابية من نفس الملحد ، وبما يفرغه من الرقابة الذاتية الأصيلة ، رقابة الضمير ، ومراقبة خالق الكون والحياة ، فلم يعد أمامه سوى القانون الذي يسعى إلى التفلت منه ما وسعه ذلك .

وثمة فرق كبير وبون شاسع بين حرية المعتقد وبين الاستهداف السياسي تحت مسمى حرية الاختيار ، فحرية المعتقد مكفولة ، والاستهداف الموجه قصد إثارة الفوضى وإسقاط الدول أو إضعافها أو تمزيقها من الداخل أمر لا يمكن أن يقبله أحد .

ومع أننا نؤكد أن الإسلام قائم على حرية الاختيار ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ ، ويقول الحق سبحانه : ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ ، ويقول سبحانه : ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ ..

ومع أن بناء الدول لا يقوم على الضمائر وحدها ، إذ لا بد من قانون

منظم نعمل على إقراره وإعلاء شأنه ، مؤمنين وموقنين أن الله (عزّ وجلّ) يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وأنه لا يجوز أن يُترك الناسُ فوضى بلا نظام ولا قانون حاكم ..

فإننا لنؤكد – أيضًا – أنه مع كل احترامنا لسيادة القانون وتأكيدنا على إعلاء رايته ، وتعزيز مكانته ، وترسيخ حكم القانون ودولة القانون ، فإننا نؤكد أن العمل على إيقاظ الضمائر وتعميق الحس الإيماني والخوف من الله (عزّ وجلّ) أمر لا غنى عنه لصلاح الفرد والمجتمع ، إذ من الصعب أن نجعل لكل إنسان جنديًّا أو حارسًا يحرسه ، ولكن من السهل أن نربي في كل إنسان ضميرًا حيًّا ينبض بالحق ويدفعه إليه، لأنه يراقبه من لا تأخذه سنة ولا نوم ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ، ويقول سبحانه : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ، ويقول سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ، ويقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ

ﭐلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ ، ويقول تعالى : ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) عندما سأله سيدنا جبريل (عليه السلام) عن الإحسان ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

والذي لا شك فيه أن الإلحاد والخروج على منهج الله وفطرته التي فطر الناس عليها له مفاسد وشرور لا تُحصى ولا تُعدّ على الفرد والمجتمع والأمم والشعوب ، منها: اختلال القيم ، وانتشار الجريمة ، وتفكك الأسرة والمجتمع ، والخواء الروحي ، والاضطراب النفسي ، وتفشي ظواهر خطيرة كالانتحار ، والشذوذ ، والاكتئاب النفسي .

فالسير في طريق الإلحاد والضلال مُدمّر لصاحبه ، مُهلِك له في دنياه وآخرته، فواقع الملحدين مُرّ ، مليء بالأمراض والعقد النفسية ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي

مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾، ويقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾.

ولا يمكن للعقوبات الدنيوية والأعراف والتقاليد وحدها مهما كانت دقتها أن تضبط حركة الإنسان في الكون ، ما لم يكن لهذا الإنسان ارتباط وثيق بخالقه ، فالتدين الحقيقي يعصم صاحبه من الزلل، لأنه يدرك أن أعماله تحصى عليه ، وأنه سيقف بين يدي الله (عز وجل) الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ .

على أن التدين الذي نبحث عنه ونسعى إليه إنما هو التدين الحقيقي الخالص لوجه الله (عز وجل) وليس التدين الشكلي أو النفعي أو السياسي.

فلا شك أن ظاهـرة التدين الشكلي وظاهـرة التدين السياسي تعدان من أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية ، سواء من هؤلاء الذين يركزون على الشكل والمظهر ولو كان على حساب اللباب والجوهر ، وإعطاء المظهر الشكلي الأولوية المطلقة ، حتى لو لم يكن صاحب هذا المظهر على المستوى الإنساني والأخلاقي الذي يجعل منه القدوة والمثل ، ذلك أن صاحب المظهر الشكلي الذي لا يكون سلوكه متسقًا مع تعاليم الإسلام يُعدُّ أحد أهم معالم الهدم والتنفير من الدين ، فإذا كان المظهر مظهر

المتدينين مع ما يصاحبه من سوء المعاملات ، أو الكذب ، أو الغدر، أو الخيانة ، أو خلف الوعد ، أو أكل أموال الناس بالباطل ، فإن الأمر هنا جد خطير في الصد عن دين الله والتنفير منه ، بل إن صاحبه يسلك في عداد المنافقين ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ).

وكذلك من يحصر التدين في باب العبادات والاجتهاد فيها مع سوء الفهم للدين ، والإسراف في التكفير ، وحمل السلاح والخروج على الناس به ، كما حدث من الخوارج الذين كانوا من أكثر الناس صلاة وصيامًا وقيامًا غير أنهم لم يأخذوا أنفسهم بالعلم الشرعي الكافي الذي يحجزهم عن الولوغ في الدماء ، فخرجوا على الناس بسيوفهم ، ولو طلبوا العلم أولًا كما قال الإمام الشافعي (رحمه الله) لحجزهم عن ذلك .

فالإسلام دين رحمة قبل كل شيء ، وكل ما يبعدك عن الرحمة يبعدك عن الإسلام ، والعبرة بالسلوك السوي لا بمجرد القول ، وقد قالوا : حال رجل في ألفٍ خير من كلام ألفٍ لرجل .

على أن العبادات كلها لا تؤتي ثمرتها إلا إذا هذَّبت سلوك وأخلاق صاحبها ، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ، ومن لم ينهه صيامه عن قول الزور فلا صيام له ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)، ولا يقبل الله (عز وجل) في الزكاة والصدقات إلا المال الطيب الطاهر ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (لا يَقْبَلُ الله صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُــورٍ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ) .

وأخطر من هذا التدين الشكلي التدين السياسي ، ونعني به هذا الصنف الذي يتخذ الدين مجرد وسيلة ومطية للوصول إلى السلطة من خلال استغلال العواطف الدينية وحب الناس- وبخاصة العامة - لدينهم ، وإيهامهم بأن هدفه من الوصول إلى السلطة إنما فقط هو خدمة دين الله (عز وجل) والعمل على نصرته والتمكين له ، مع أن واقع أمرهم عكس ذلك ، مما أسهم في الصد عن دين الله ، وتغذية التطرف المضاد ، مما يتطلب من كل مخلص لدينه أن يكون قدوة بأفعاله قبل أقواله ، وأن يجدد نيته لله (عز وجل) ، فلا بد من أن نجعل الإسلام واقعًا نعيش فيه ويعيش فينا ، ونأخذ بكل أسباب الحضارة والرقي حتى نحقق الأنموذج الذي يجب أن

يكون عليه المسلم الفاهم لدينه ، الحريص على مرضاة ربه ، القادر على مواجهة الحجة بالحجة والمنطق ، واضعًا نصب عينيه قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾، إنما علينا البلاغ المبين إعذارًا إلى الله من أنفسنا في الدعوة إليه سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة ، حيث يقول سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

تعريف الإلحاد

الإلحاد هو أخطر انحراف عن الفطرة السليمة ، والعقيدة النقية ، كما أنه انتكاسة عقلية وردة روحية ، وقد تطور استخدام اللفظة عبر العصور، فبينما تدور اللفظة من الناحية اللغوية على معان معينة ، فإن الدراسات الحديثة تخصصها بأحد هذه المعاني ، وتضعها في إطار بعينه.

الإلحاد في اللغة:

يدور المعنى اللغوي للفظة الإلحاد حول معنى أساسى هو الميل والعدول، وقد تفرعت عن هذا المعنى الرئيس معان فرعية كثيرة تستند إلى هذا المعنى الأصلي ، وسوف نفصل هذه المعاني فيما يلي:

أ - أَصل الإِلحادِ: المَيْلُ والعُدول عَنِ الشَّيْءِ ؛ وقد قيل: معنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد ، ولحد إلى الشيء يلحد والتحد مال ، ولاحَدَ فُلانًا: اعْوجَّ كُلٌّ منهما على صاحِبِه ، ولَحَدَ إِليه بِلِسَانِهِ: مَالَ .

ب – اللحد: الشق في جانب القبر؛ لأنه مال عن الوسط إلى الجانب، فيقال: اللَّحْدُ واللُّحْد: الشَّقُّ الذي يَكُونُ في جَانِبِ الْقَبْرِ موضِع المَيِّتِ ؛ لأَنه قَدْ أُمِيل عَنْ وسَطه إِلى جَانِبِهِ ، وَقِيلَ: الذي يُحْفر في عُرْضه ، والجمع: أَلْحادٌ ولُحودٌ ، ولَحَدَ القَبْرَ ، كَمَنَعَ ، وأَلْحَدَهُ : عَمِلَ له لَحْدًا ، ولحد المَيِّتَ: دَفَنَهُ ، وقَبْرٌ لاحِدٌ ومَلْحُودٌ : ذُو لَحْدٍ .

ج- ويقال للبئر غير مستقيمة الحفر: رَكِيَّةٌ لُحودٌ ، أي زَوْراءُ مُخالِفَة عنِ القَصْدِ، ويقال أيضًا للقطعة من اللحم: لُحادة ولُحاته.

د- ومن معانيه الملجأ؛ لأَن اللاَّجِئَ يَمِيلُ إِليه، ومنه قَوْله تعالى: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾(١)، أَي مَلْجَأً وَلَا سَرَبًا أَلجأُ إِليه.

هـ- ومنه المماراة والمجادلة ، فتقول: أَلحدْت مارَيْت وجادَلْت ، وأَلحَدَ: مارَى وجادَل.

و- ومنه الإلحاد في الدين ؛ لأنه ميل عن الحق إلى الظلم وأنواع الآثام والشرور، فيقال:لَحَدَ في الدِّينِ يَلْحَدُ وأَلحَدَ : مالَ وعدَل ، وَقِيلَ: لَحَدَ مالَ وجارَ.

والمُلْحِدُ: العادل عَنِ الحُقِّ المُدْخِلُ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ ، يُقَالُ : قَدْ أَلحَدَ في الدِّينِ ولَحَدَ أي حَادَ عَنْهُ ، وَقُرِئَ: (لِسَانُ الذي يَلْحَدون إِليه)، والتَحَدَ مِثْلُهُ.

ز- ومنه الظلم مطلقًا ، وَرُوِى: لَحَدْت جُرْت ومِلْت ، وأَلحَدَ الرَّجُلُ أي ظلَم في الحَرَم ، وأَصله مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ أي إِلحادًا بِظُلْمٍ ، ولَحَدَ عليٌّ في شَهادَتِهِ يَلْحَدُ لَحْدًا: أَثِمَ، وفي الحَرَمِ: تَرَكَ القَصْدَ فيما أُمِرَ به ، وأَشْرَكَ بالله ، أو ظَلَمَ ، أو احْتَكَرَ الطَّعامَ ، وبِزَيْدٍ:

---

(١) سورة الجن: ٢٢.

أَزْرى به، وقال عليه باطِلًا [1].

الإلحاد في القرآن الكريم:

وردت مادة لحد في القرآن الكريم في ستة مواضع ، مرة بصيغة «إلحاد»، وثلاث مرات بصيغة «يلحدون»، ومرتين بصيغة «ملتحد».

أولا : ورود لفظة «إلحاد»، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [2]، وقد ذكر الطبري في تفسيره كافة الآراء الواردة في معنى الإلحاد بظلم في الحرم، وحصر هذه الآراء فيما يلي:

١- هو الشرك بالله وعبادة غيره به ، أي بالبيت.

٢- هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه.

٣- هو الظلم ، وذلك باستحلال الحرم متعمدًا.

٤- هو احتكار الطعام بمكة.

---

(١) انظر: لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤١٤هـ، ٣/ ٣٩٠ ، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، ط الثامنة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، وتاج العروس ، مرتضى الزبيدي ، دار الهداية ، ٩/ ١٣٤- ١٣٦، مادة (لحد) .

(٢) سورة الحج: ٢٥.

٥- هو كل ما كان منهيًّا عنه من الفعل، حتى قول القائل: « لا والله، وبلى والله»[١].

وهي جميعها آراء استندت إلى تخصيص معنى الإلحاد بالظلم، فاتجهت إلى تفسير معنى الظلم ونوعه ، ثم رجح الطبري أن المراد بالظلم هو كل معصية لله تعالى وذلك لعموم الآية، فقال: «وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس (رضي الله عنهم)، من أنه معنى بالظلم في هذا الموضع كلّ معصية لله، وذلك أن الله عم بقوله ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ ولم يخصص به ظلمًا دون ظلم في خبر ولا عقل ، فهو على عمومه ، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام : ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم ، فيعصي الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له»[٢].

ثانيًا : ورود لفظة «يلحدون» في ثلاثة مواضع ، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣]، ومعنى الإلحاد في

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٨/ ٦٠٠- ٦٠٢.

(٢) المرجع السابق، ١٨/ ٦٠٢.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٠.

أسمائه ما فعله المشركون من التكذيب بها، والزيادة فيها، واشتقاقهم منها أسماء لآلهتهم.

قال الطبري: «قوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ ، فإنه يعنى به المشركين ، وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدَلوا بها عمّا هي عليه ، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم ، وزادوا فيها ونقصوا منها ، فسموا بعضها «اللات» اشتقاقًا منهم لها من اسم الله الذي هو «الله»، وسموا بعضها «العُزَّى» اشتقاقًا لها من اسم الله الذي هو «العزيز»»[1].

وقد ذكر ابن كثير أقوالًا في تفسيرها فقال: «قال ابن جريج ، عن مجاهد: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ قال: اشتقوا «اللات» من الله، واشتقوا «العزى» من العزيز ، وقال قتادة : (يلحدون) يشركون ، وقال علي بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما): الإلحاد التكذيب»[2].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾[3]، فقد كان مشركو مكة يزعمون أن النبي ﷺ يتعلم القرآن من

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٣/ ٢٨٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٣/ ٥١٦.

(٣) سورة النحل: ١٠٣.

عبد رومي، فقال: الذي تميلون إليه أعجمي، قال الطبري: «لسان الذي تلحدون إليه- يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدًا ﷺ- أعجمى، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلِّم محمدًا ﷺ هذا القرآن عبد رومي، فلذلك قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ يقول: وهذا القرآن لسان عربى مبين»[1].

٣- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾[2]، وقد اختلف أهل التأويل في معنى الإلحاد في آيات الله على آراء عدة ، منها :

١- معارضة المشركين القرآن باللغط والصفير استهزاء به.

٢- أُريد به الخبر عن كذبهم في آيات الله.

٣- أُريد به يعاندون.

٤- أُريد به الكفر والشرك.

٥- أُريد به الخبر عن تبديلهم معاني كتاب الله.

وقد بين الطبري عدم ترجح أحد هذه الأقوال على الآخر، وذلك لقربها جميعًا من المعنى اللغوي؛ ولذلك فإن الخبر يعم جميع هذه المعاني

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٧/ ٢٩٨.

(٢) سورة فصلت: ٤٠.

ويشملها، فيقول: «كل هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك قريبات المعاني، وذلك أن اللحد والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلًا عن آيات الله، وعدولًا عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية ، ويكون مفارقة لها وعنادًا ، ويكون تحريفًا لها وتغييرًا لمعانيها ، ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا ، وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا في آيات الله ، كما عمّ ذلك ربنا تبارك وتعالى»[1].

ثالثًا: ورود لفظة «ملتحدًا»، في موضعين هما: قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾ وقوله عز وجل: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴾، وهي في الموضعين بمعنى ملجأ[2].

وعلى هذا يتفق المعنى القرآني مع المعنى اللغوي في إيراد اللفظة بمعنى الميل، سواء كان هذا الميل عن الحق والقصد ، وذلك بالشرك أو الظلم أو المعصية ، أو مطلق الميل.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، ٢١/ ٤٧٨ .

(٢) انظر: المصدر السابق ، ١٧/ ٦٥١، ٢٣/ ٦٦٩، وتفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، ٥/ ١٥١، ٨/ ٢٤٥.

الإلحاد في السنة النبوية:

وردت مادة لحد في السنة النبوية في قول النبي ﷺ: «أبغضُ الناسِ إلى الله ثلاثة : مُلحِدٌ في الحرم ، ومبتغٍ في الإسلام سُنة الجاهلية ، ومُطالِبٌ دمَ امرئٍ بغيرِ حقٍّ ليهريقَ دمَه»[1]، وقال عمر ﷺ: «احتكارُ الطعامِ بمكة للبيع إلحادٌ»[2] أي : إثم وظلم وميل عن الحق .

وعلى هذا فلم يخصص القرآن أو السنة الإلحاد بأحد المعاني اللغوية، بل جاء ليشمل معنى الميل عامة ، والعدول عن القصد والاستقامة ، كما يشمل جميع أنواع الآثام والظلم ، حتى احتكار الطعام في الحرم.

الإلحاد في الاصطلاح:

إن كانت مادة الإلحاد في اللغة وفي القرآن الكريم وفي السنة النبوية دارت حول معنى الميل عن القصد ، واستخدمت في هذا الاتجاه بصورة عامة بغير تخصيص ، إلا أنه قد ظهر تخصيص لإطلاق لفظة الإلحاد عند المسلمين على المتحلل من الأديان كالدهرية ، وغيرهم[3]، فيقول الرازي:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق ، حديث رقم ٦٨٨٢، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، ٩/ ٦.

(٢) أخبار مكة، الأزرقى، تحقيق: رشدي الصالح، دار الأندلس للنشر، بيروت، ٢/ ١٣٥ .

(٣) كالزنادقة الذين ظهروا في عصر المهدى، وقد أطلق أيضًا على الباطنية، فيقول أبو منصور الأزهرى: «وملحدو زماننا هذا هؤلاء الذين تلقبوا بالباطنية ، وادعوا أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا،

«ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها ، لم يمله عن دين إلى دين آخر»[1]، وبنفس المعنى واللفظ تقريبًا يعرفه الزمخشري فيقول: «ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه، ومنه الملحد، لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين» [2].

وقد وضح ذلك ابن حجر فقال: «أصل الملحد هو المائل عن الحق ، والإلحاد العدول عن القصد ، واستشكل بأن مرتكب الصغيرة مائل عن الحق، والجواب: أن هذه الصيغة في العرف مستعملة للخارج عن الدين، فإذا وصف به من ارتكب معصية كان في ذلك إشارة إلى عظمها»[3].

وأن علم الباطن فيه معهم، فأحالوا شرائع الإسلام بما تأولوا فيها من الباطن الذى يخالف ظاهر العربية التى بها نزل القرآن، وكل باطن يدعيه مدع في كتاب الله عز وجل يخالف ظاهر كلام العرب الذى خوطبوا به فهو باطل؛ لأنه إذا جاز لهم أن يدعوا فيه باطنًا خلاف الظاهر جاز لغيرهم ذلك، وهو إبطال للأصل، وإنما زاغوا عن إنكار القرآن ولاذوا بالباطن الذى تأولوه ليغروا به الغر الجاهل، ولئلا ينسبوا إلى التعطيل والزندقة»، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، أبو منصور بن الأزهري الهروي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدنى، دار الطلائع، ص٢٤٨.

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازى، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الثالثة، ١٤٢٠ هـ، ٢٠/ ٢٧١.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة ، ١٤٠٧ هـ، ٢/ ٦٣٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب

وقال في تعريف الزنديق: «الزنديق فارسي معرب.. ويطلق على من يكون دقيق النظر في الأمور ، وقال ثعلب: ليس في كلام العرب زنديق ، وإنما قالوا: زندقي لمن يكون شديد التحيل ، وإذا أرادوا ما تريد العامة قالوا: ملحد ودهري ، بفتح الدال ، أي يقول بدوام الدهر»(١).

وهذه محاولة من ابن حجر للجمع بين الرأيين ؛ أي أن اللفظة تطلق في عرف المسلمين حقيقة على الخارج عن الدين ، وتطلق على مرتكب الكبائر إشارة إلى عظم الجرم دون قصد للحقيقة العرفية ، وهذا قريب من المعنى الاصطلاحي عند المحدثين.

فعلى هذا نقول: إن العلماء العرب منهم من يعرف الإلحاد بالمعنى العام الشامل لكل ميل عن الحق ، ومنهم من يُعرفه بالمعنى الخاص ، وهو الخروج عن الأديان كلها.

أما الدراسات الحديثة فقد خصصت إطلاق لفظة الإلحاد على إنكار وجود الله دون باقي المعاني، فقيل: إن الإلحاد عقيدة قوامها إنكار وجود الله(٢)، وقيل: والإلحاد في اصطلاحنا هو إنكار وجود الله (٣).

الدين الخطيب ، ١٢/ ٢١٠.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١٢/ ٢٧٠.

(٢) المعجم الفلسفي، لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط الثانية، ٢٠٠١م، ١/ ١٠٧.

(٣) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ١/ ١١٩.

وقد استعرضت موسوعة " لالاند " الفلسفية النقاش الدائر حول لفظة الإلحاد ، حيث يرى بعض الباحثين أنه لا يمكن تعريف هذه اللفظة تعريفًا اصطلاحيًّا فلسفيًّا ، وإنما يظل تعريفها في نطاق التعريفات اللفظية؛ وذلك لأنه «ما من تهمة كانت أكثر تداولًا من تهمة الإلحاد ، ففي الماضي كان يكفي المرء حتى يتهم بهذه التهمة ألا يشاطر الآراء السائدة والمعتقدات الرسمية في عصر ما، مهما تكن فاحشة أو فاسقة»[1]، فليس للفظة الإلحاد عند أنصار هذا الاتجاه مضمون حقيقي ، وإنما هي مشتملة على قيمة تاريخية تُحدد في كل حالة على حدة، فما يكون تأكيدًا للألوهية عند البعض يمكن أن يعده البعض الآخر إلحادًا، فاللفظة تناسب السجالات والمجادلات الدينية أكثر مما تناسب الحقائق الفلسفية.

والحقيقة أن هذا الاتجاه هو محاولة للانتصار للتيار المادي الإلحادي، حيث يحاول تفريغ الكلمة من مضمونها وحقيقتها ، وجعلها لفظة نسبية تطلق على المنكرين لوجود الإله وعلى المثبتين في نفس الوقت ، فيرى «رنوفييه» أن عقيدة الألوهية قد تتلاشى تحت النقد ، فتكون هذه العقيدة هي الجديرة بلفظ الإلحاد ، فمن هذا الجانب فاللفظة لا تختص باعتقاد دون غيره[2].

---

(١) المعجم الفلسفي، لالاند، ١/ ١٠٧.

(٢) المرجع السابق ، ١/ ١٠٨ بتصرف.

في حين يرى البعض الآخر أنه لا يمكن حصر التعريف في التعريف اللفظي، وتفريغ الكلمة من مضمونها وحقيقتها الفلسفية بدعوى التباين في إطلاقها، فإن التباين ليس في المضمون الفلسفي للكلمة، وإنما في الإطلاق التشويهي للكلمة والمناوئ لعقيدة معينة أو لشخص بعينه؛ ولذا فقد حصر أنصار هذا الاتجاه دلالة الإلحاد في وجهين ، كما يلي:

الأول: دلالة نظرية ، وهو الإلحاد القائم على إنكار السببية ، أو عدم التمادي فيها.

الثاني: دلالة عملية ، وهو الإلحاد القائم على إنكار قيمة الفعل الإلهي الفعال في الكون[1].

فالدلالة الأولى وهي قائمة على إنكار وجود الله ، ومحاولة إرجاع أصل الكون إلى نظريات تنافي الخلق ، أما الدلالة الثانية وهي التي يهتم صاحبها بتوجيه الشبهات حول الفعل الإلهي ، وتعلقه بالخير والشر ، ومسألة العدل الإلهي.

ولذلك جاء التحديد عندهم في إطلاق اللفظ على المذهب الذي ينكر وجود الله لا على المذاهب التي تنكر بعض صفات الله، أو تخالف معتقدًا دينيًّا معينًا ، أو رأيًا جماعيًّا مقررًا، فالفلاسفة الماديون ملاحدة ؛ لأنهم قالوا:

---

(١) المعجم الفلسفي، لالاند ، ١/ ١٠٧ بتصرف.

إن للمادة وجودًا مطلقًا، وأنها علة الحركة والحياة والفكر، والدهريون ملاحدة؛ لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج إلى صانع، وأنه بما فيه مبنيّ على الاتفاق[1].

أهمية التحديد الاصطلاحي:

تكمن أهمية تحديد إطلاق الإلحاد بالمعنى الاصطلاحي الخاص بإنكار وجود الله ورد الكون إلى الصدفة دون غيره من المعاني اللغوية ، لتنصب الجهود وتتركز على مواجهته ، ولكي نتجنب التشتت حول الدلالات اللغوية السابقة ، خاصة بعد انتشار هذه الظاهرة عن السابق، وتسللها إلى المجتمعات العربية والإسلامية ، ومحاولة إغراء بعض الغافلين بها من مختلف الفئات ، وخاصة الشباب.

اللاأدرية والإلحاد:

اللاأدرية : موقف معرفي بالأساس ، لا يختص بوجود الله ، وهو موقف قديم ذهبت إليه السوفسطائية ، حيث قالوا بالتوقف في وجود كل شيء وفي علمه ، وبنوا ذلك على أن الشك يتطرق إلى الحسيات والبديهيات والنظريات ، فلا يمكن القطع بشيء ، فإن قيل لهم: قَطْعُكم بالتوقف ينقض موقفكم ، قالوا: التوقف لا يفيد القطع بل يفيد الشك ، فنحن نشك ونشك أننا نشك ، وهذا في الحقيقة موقف لا يفيد التوقف بل يفيد النفي ، لأن

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ١٢٠.

شكهم لا ينصب على الغيبيات أو ما لا يدرك بالعقل والحس ، بل شكوا حتى فيما يقع تحت الحس.

وعند المحدثين تطلق اللاأدرية على وجوه ، منها : إنكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة، أو إنكار معرفة المطلق كما عند «هكسلى»، فهو صاحب مذهب واقعى يرى أن كلاً من المادية والروحية خطأ ؛ لأنهما يفترضان أننا نعرف حقيقة الأشياء ونحن لا نعرفها ، وهو من عبر عن موقفه هذا بـ(اللاأدري) (1)، وتطلق اللاأدرية أيضًا على القول ببطلان علم ما بعد الطبيعة، «فكل فيلسوف ينكر المعرفة أو يقول بوجود حقائق لا سبيل إلى معرفتها، فهو من اللاأدرية» (2).

فاللاأدرية باعتبارها موقفًا معرفيًّا قد يجر إلى الإلحاد؛ لأن صاحبه قد ينكر الحقائق جملة، كما في موقف القدماء من السوفسطائيين ، ولكن في الحقيقة اللاأدرية لا ترادف الإلحاد لأنها لا تنفي وجود المطلق ، ولكن تنفي معرفته وتصوره ، فهي تنفي إمكانية المعرفة ، وذلك كما ذكر «هربرت سبنسر»، حيث قال: «إننا في تصورنا للمتناهي نتصور الموجود والنهاية، وفي تصورنا للامتناهي ننفي النهاية ولا ننفي الموجود» (3)، ويقول: « إن

---

(1) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط الخامسة، ص ٣٦٤.

(2) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/ ٢٥٨.

(3) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم، ص ٣٥٨.

قوانين الفكر التي تحظر علينا تكوين تصور عن موجود مطلق، تحظر علينا أيضًا استبعاد تصوره»[1].

ولذا فرغم قوله بنظرية التطور فقد أفسح المجال للاعتراف بالدين وأن له مجاله الخاص ، كما أن للعلم مجاله الخاص ومسائله التي لا يمكن أن تُحل إلا من خلاله ، فيقول: «إذا تقرر هذا لزم منه أن للدين مكانًا إلى جانب العلم، وإنما كان التعارض بينهما لأن الدين على اختلاف صوره ، يدعى تعيين ماهية العلة المطلقة.. وأن العلم يريد أن ينفذ إلى ميدان هو ميدان خاص بالدين، فما إن تعين حدود المعرفة كما ينبغي حتى يتفق العلم والدين على أن ماهية الوجود مجهولة غير مدركة ، وينحصر كل في دائرته وينتهي النزاع بينهما» [2].

فمن استطاع من أصحاب هذا المذهب التفريق بين الوجود والمعرفة، لم تكن اللاأدرية عنده مرادفة للإلحاد ، ومن خلط في ذلك حيث اعتبر نفيَ إمكانية المعرفة نفيًا للوجود ، فاللاأدرية عنده مرادفة للإلحاد.

* * *

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ٣٥٩.

(٢) المرجع السابق ، ص٣٥٩- ٣٦٠ .

من تاريخ الإلحاد

لقد أثارت ظاهرة الإلحاد العديد من الأسئلة ، والتي من بينها : هل ثمة ارتباط بين هذه الظاهرة وبين هذا العصر وما تميز به من تقدم تقني، وانفتاح معرفي، وتطور تكنولوجى؟ وبعبارة أخرى ، هل الإلحاد أحد مظاهر العصر الحديث ، وما تميز به من سمات غير مسبوقة ، من تواصل دولي، فأصبح العالم كالقرية الصغيرة ، فسهل انتقال الأفكار والمذاهب لتجول بين دول المعمورة ، وأصبح من اليسير أن تولد فكرة في دولة ما، فتجد من يؤيدها بل ويتبناها في دول شتى على سبيل التأثير والتأثر؟ أم أن هذه الظاهرة يمكن إيجاد جذور لها في عصور سالفة ، وفي حقب تاريخية سابقة؟

وإذا كانت ظاهرة الإلحاد قديمة حديثة ، فإلى أي الحقب يعود ظهورها الأول؟ وهل كانت تحت مصطلح إلحاد أم أنه اصطلح على مضمونها الفكري بمصطلحات أخرى؟.

وإذا حاولنا تلمس إجابة لهذه الأسئلة في أدبيات أنصار المذهب الإلحادي؛ لوجدنا أنهم يصورون مذهبهم على أنه ثمرة العصر الحديث، وانطلاقه المعرفي ، وتقدمه العلمي.

فهم يحاولون من طرف خفي ادعاء الحداثة لمذهبهم عن طريق ربطه

بعصر العلم والتقدم ، وكأن الدين والتدين يمثلان سمتًا مميزًا لعصور ما قبل التقدم ، في محاولة منهم للربط بين الدين والتخلف الحضاري من جهة، ومن جهة أخرى تصوير مذهبهم على أنه ثمرة التحرر العقلي ، ووليد النضج الفكري والعلمي الذي شهدته الإنسانية حديثًا.

ويجتهد الملحدون في تقديم تفسيرات مبررة لظاهرة الدين ، وبيان أنه ضرورة استدعتها عوامل شتى ترجع في مجملها إلى بدايات الحياة الإنسانية وغريزتها ، فمن أقوالهم عن الدين: إنه «شيء لا حقيقة له ، وهو مظهر للغريزة الإنسانية الباحثة عن حقائق الكون ، والتي تحاول تفسيره ، إن هذه الغريزة الإنسانية في ذاتها شيء مستحسن، ولكن المعلومات والوسائل المحدودة قد انتهت بأجدادنا إلى إجابات غير صحيحة ، وهي التي تحتويها الآن أفكارهم عن الإله والدين ، أما اليوم وبعد ما توفرت لدينا الوسائل العلمية ، وأصلحت المعلومات الحديثة شيئًا كثيرًا من معتقداتنا الاجتماعية والحضارية ، فقد حان الوقت لنعيد النظر في جميع ما وصل إليه أجدادنا من أفكار»[1].

ومنها قولهم : إن الدين نتاج اللاشعور الإنساني ، وليس انكشافًا لواقع خارجي ، وقولهم : ليس الإله سوى انعكاس للشخصية الإنسانية

---

(١) الإسلام يتحدى.. مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تقديم: د/ عبد الصبور شاهين، ترجمة : ظفر الدين خان، د/ عبد الصبور شاهين، الدار العالمية للنشر ٢٠١٤م، ص٢٥.

على شاشة الكون ، وما عقيدة الدنيا والآخرة إلا صورة مثالية للأماني الإنسانية ، وما الوحي والإلهام إلا إظهار غير عادي لأساطير الأطفال المكبوتة [1].

ويقول "جوليان هكسلي": إن الدين نتيجة لتعامل خاص بين الإنسان وبيئته [2]، ويقول أيضًا : لقد انتهت العقيدة الإلهية إلى آخر نقطة تفيدنا، وهي لا تستطيع أن تقبل الآن أية تطورات ، لقد اخترع الإنسان قوة ما وراء الطبيعة لتحمل عبء الدنيا [3]، جاء بالسحر ، ثم بالعمليات الروحية ، ثم بالعقيدة الإلهية ، حتى اخترع فكرة «الإله الواحد» ، وقد وصل الدين بهذه التطورات إلى آخر مراحل حياته ، ولا شك أن هذه العقائد كانت في وقت ما جزءًا مفيدًا من حضارتنا ، بيد أن هذه الأجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها ، ومدى إفادتها للمجتمع الحاضر المتطور [4].

ويعد " أوجست كونت" «الدين حالة بائدة ينبغي أن تنتهي لتصل

---

(١) الإسلام يتحدى ، ص٢٨.

(٢) المرجع السابق ، ص٢٩.

(٣) ورد بالنص عبء الدين. وعلى هذا يكون المعنى أنها تحمل مسئوليته، وعبء ملء الفراغ الوجدانى، والاحتياج الفطرى والطبيعى إليه لدى الإنسان ، وقد يكون المقصود «عبء الدنيا» بمعنى إلقاء هموم الدنيا وتبعات الأحداث وتصريفها عليه، وهو أقرب تبادرًا للذهن، وإن كان المعنيان صحيحين، وبأى منهما يستقيم المعنى ويصح.

(٤) الإسلام يتحدى، ص٢٩.

الإنسانية إلى المرحلة الوضعية التي يحل فيها العلم محل الدين والفكر الميتافيزيقي ، وربط ذلك بجملة العلوم الواقعية التي يقوم بعضها بمهمة العمل في نطاق العالم الطبيعي ، وبعضها الآخر بمهمة العمل في نطاق حياة الإنسان وحركة المجتمع، ومع كل هذا لم يبق للدين شيء لا في مجال التفسير ولا في مجال التوجيه ، ومن ثم لم يعد له فائدة ، ولم تعد به حاجة...»[١].

وخلاصة القول ، فإن أنصار المذهب الإلحادي ينظرون إلى الدين باعتباره يمثل سمة مميزة لمراحل التطور الفكري والوعي الوجداني السابقة على مرحلة النضج المعاصر، فالإنسان في عصوره السالفة قد مر بمراحل تطور، وعايش أزمات وكوارث لم يجد لها تفسيرًا مقنعًا، كما لم يقو على مواجهتها ومجابهتها، فأدى به هذا إلى اختراع فكرة الدين[٢]، وعقيدة الإله

---

(١) مفهوم الفكر المادى، أحمد عبده حمودة الجمل، بحث منشور ضمن حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد الثانى عشر، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص١٥٠.

(٢) تتردد هذه الأفكار كثيرًا في أدبيات اللادينيين والملحدين، ويمكن الوقوف عليها بتصفح مواقعهم على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) والتى منها شبكة الملحدين العرب، وشبكة اللادينيين العرب، ولعل أهم ما يلحظه المتصفح لهذه المواقع أن التوافق الظاهر، بل التطابق بين مذهب الملحدين واللادينيين في مضمون الأفكار، وفي صياغتها، ومنهجهم في النقاش وأدلتهم على صحتها، وهذا يوحى بأنه ليس ثمة فرق حقيقى بين هؤلاء وأولئك، وادعاء أن الملحدين فصيل واللادينيين فصيل آخر أمر يحتاج مراجعة ومزيد بحث.

القوى المسيطر، وذلك لأحد هذه الأسباب الثلاثة التالية:

١ – البحث عن إجابات شافية ومقنعة عن سر وجوده في هذا العالم، وعن مصيره، وعن علاقته بالكون من حوله.

٢– بدافع من الخوف ، فبحث عن قوى عظمى يتلمس في معيتها الأمان والاطمئنان في مواجهته كوارث الطبيعة وأسرارها الغامضة ، فكان لاختراعه فكرة الإله القوي ما يمكنه من مواجهة مخاوفة ويمنحه الأمان والسلام المنشود[١].

٣– البحث عن فردوس مفقود يجد المرء فيه عوضًا عن عناء واقعه المعاش ، ومشاق حياته التي منى بها ، فإنه إن فقد السعادة والنعيم في يومه، فهو يطمع في وجودهما في غد أفضل في غير هذا العالم[٢].

ويرجع الملحدون نمو ظاهرة الدين بين المجتمعات إلى عوامل بيئية وسياسية واقتصادية[٣]، واجتماعية ، بل ونفسية كذلك ، فكل هذه العوامل ساعدت على انتشار الدين بوصفه ظاهرة عرفتها الأمم والحضارات قديمًا.

فالدين إذن في تصور هؤلاء ظاهرة اقتضتها الحاجة الإنسانية في

(١) انظر: الإسلام يتحدى، ص٢٩.

(٢) المرجع السابق ، ص١٩-٢٨ .

(٣) المرجع السابق، ص٢٩، ٣٠.

مراحل سالفة ، وقد أصبح الإنسان في غنى عنها بعدما استطاع في ظل التطور العلمى المعاصر أن يكتشف أسرار الكون ، وأصبح بإمكانه أن يواجه مشكلاته ، بل ولربما سيطر عليه بما يمتلك من سلاح العلم.

وبقطع النظر عن مناقشة هذه الآراء ، أو تحليل مضمونها الفكري والنفسي الذي ينم عن حالة من الخواء النفسي ، والاضطراب الوجداني، والجهل الحقيقي ، والغرور الشديد ، فإن ما توصل إليه العلم الحديث من اكتشافات هو في حقيقته أدلة على وجود خالق مدبر حكيم ، وإلا فكيف تفسر لنا الصدفة هذا الإحكام ، وهذا النظام ، بل وإن فسرته ، فكيف تفسر بقاءه واستمراره ، فهل هي صدفة ، أم عناية وحكمة من خالق أعظم ، خلق فأبدع وأحكم ، ودبر أمر خلقه جميعًا؟!.

وفي دراسات علم «تاريخ الأديان» اهتم علماء الإنسانيات عامة وعلماء تاريخ الأديان خاصة بالبحث عن نشأة «الدين» بوصفه ظاهرة إنسانية تقاسمتها جميع الأمم ، وعرفتها كافة الشعوب ، بقطع النظر عن مستواها الفكري والثقافي والحضاري ، فلا يخلو مجتمع ما من موروث عقدي ديني ، فلقد سجل لنا التاريخ منذ صفحته الأولى قبسات من الفكر الديني لدى أقدم الأمم والقبائل على تنوع المواقع الجغرافية ، وتفاوت المستوى الفكري والثقافي «قبائل غير متحضرة ، أمم متحضرة».

وينبغي التنبيه بداية إلى أن «الدين» بوصفه ظاهرة رفضها الملحدون ، وبحث في نشأتها علماء الأديان هو مطلق الفكر الديني ، فلم يفرق هؤلاء

ولا أولئك بين ما هو من نسج الأمم والشعوب ، فيندرج تحت مسمى أديان وضعية ، وبين ما ينسب إلى وحي إلهي ، فيصطلح عليه بدين سماوي.

وبالبحث في آراء علماء الأديان نجد أنهم قدموا ثلاث نظريات تعد أطروحات مفسرة لنشأة الدين ، قامت وفق منهج علمي ، واتخذت مادتها التي قامت عليها دراستهم بالبحث والدرس والتحليل من استقراء حضارات أقدم الأمم وتحليل المعتقدات الدينية لدى القبائل التي لم تصلها يد المدنية المعاصرة ، فظلت في معزل عن أي تطور حضاري ، تحافظ على كياناتها الخاصة وموروثاتها الدينية والفكرية والاجتماعية بعيدًا عن يد التغيير[1]، وكانت خلاصة هذه الأبحاث هذه النظريات الثلاث، وهي:

أولاً: نظرية التطور التقدمي أو التصاعدي:

أنصار هذه النظرية يرون «أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد ، كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته حتى زعم بعضهم أن عقيدة «الإله الأحد» عقيدة جد حديثة.

هذه النظرية نادى بها أنصار مذهب التطور التقدمي ، أو التصاعدي Evolution nisme Progressisie ou Ascendent الذي ساد في أوروبا في

---

(١) راجع : الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، للشيخ: عطية صقر ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر، مصر، ص١٠٧.

القرن التاسع عشر في أكثر من فرع من فروع العلوم ، وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان عددٌ من العلماء ، منهم : "سبنسر Spencer "، و " تيلور Tylor "، و "فريزر Frazer "، و" دور كايم Durkheim "، وغيرهم»[1].

ثانيًا : **نظرية فطرية التوحيد وأصالته** :

وقد أخذ بهذه النظرية فريق آخر ؛ حيث قرَّر بالطرق العلمية إثبات «أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشـر ، مستدلًّا بأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم في القديم والحديث ، فتكون الوثنيات إن هي إلا أعراض طارئة ، أو أمراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة، وانتصر لهذه النظرية جمهور من علماء الأجناس، وعلماء الإنسان، وعلماء النفس، ومن أشهر مشاهيرهم "لانج Lang "الذي أثبت وجود عقيدة «الإله الأعلى» عند القبائل الهمجية في أستراليا، وأفريقيا، وأمريكا، ومنهم " شريدر Seheroeder " الذي أثبتها عند الأجناس الآرية القديمة ، و" بروكلمان Brockelman" الذي وجدها عند الساميين قبل الإسلام، و"لرواه LaRoY "، و"كاترفاج Quatrefages "عند أقزام أواسط أفريقيا، و"شميدت Schmidt "عند الأقزام وعند سكان أستراليا الجنوبية الشرقية، وقد انتهى بحث شميدت هذا إلى أن فكرة «الإله الأعظم» توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية»[2].

---

(١) انظر: الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، للشيخ: عطية صقر ، ص١٠٧ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ، ص١٠٧-١٠٨، بتصرف.

ثالثا: نظرية التعاصر الزمنى:

وتقريرها «أن الرشد والضلال في الفكرة الدينية ليستا ظاهرتين متعاقبتين فقط ، صعودًا أو انحدارًا على مدى العصور ، بل هما ظاهرتان متعاصرتان ، موزعتان في كل أمة وجيل، تبعًا لاختلاف الأفراد في درجات استقامة الحدس العقلي ، ونبل الحس الباطني ، فلا يخلو جيل ما من نفوس صافية تدرك الحقيقة نقية من شوائب الخرافة ، وأخرى دون ذلك...»[1].

وبعيدًا عن مناقشة هذه النظريات تأييدًا أو معارضة ، فليس هذا ما يُعنى به سياق الحديث ، ولا لأجل ذلك كان إيرادها ، وإنما ما يُعنى به هو ما يستنتج من مجموعها ، وفيما يلي بيان ذلك:

١- أنه وفقًا للنظرية الأولى - نظرية التطور التقدمي - فإن عقيدة الإله الخالق الواحد تمثل قمة الهرم في تفسيرها لمراحل التطور العقدى[2]، فماذا بعد الكمال إلا نقيضه.

٢- إذا أخذنا بالنظرية الثانية المفسرة لنشأة «الدين»- وهي على نقيض النظرية الأولى - لوجدنا أن انتشار عقيدة الإله الخالق الأعظم بين مختلف الأجناس والقبائل ، بل والأمم المتحضرة ، دليل على أنها لم تكن محض خرافة اخترعها الإنسان ، لأن ادعاء أن تلك الأمم والحضارات

---

(١) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، للشيخ: عطية صقر ، ص١١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٧.

كانت على تواصل يسمح بانتقال الأفكار فيما بينها أمر غير قطعى، وإن فسر الوجود، فلن يفسر الانتشار والاستمرار ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إذا أخذنا في الاعتبار أن الأمم فيما بينها اختلفت اختلافات جوهرية فكريًّا، وثقافيًّا، وحضاريًّا، فاتسم بعضها بالتحضر والرقي، وعرف عن بعضها البداوة، فإن ذلك مدعاة للتساؤل عن سر اتفاقهم جميعًا على فكرة الإله الخالق ، فإن اختلاف المستوى الحضاري والفكري يكفي مسوغًا لأن يختلفوا في ذلك ، فما جاز أن تقبله أمة ليس بالضرورة أن يكون موضع قبول لدى غيرها من الأمم.

٣- أن ادعاء أن الدين حالة بائدة وأن التحرر يكون من المعتقد الدينى عامة ، ومن الاعتقاد بوجود إله خالق خاصة ، أمر ليس بالحديث، فقد ظهر من تبنى هذه الآراء ونادى بها قديمًا ، ومن ثم فإن هذا المذهب قد عاصر زمنيًّا بل وجاور مكانيًّا الآراء المؤيدة للفكر الدينى والمعتقدة بوجود خالق ، وذلك ما يستفاد من النظرية الثالثة ، ومن هنا يمكن القول بأن المذهب الإلحادي له جذور تاريخية ، كما يمكن القول بأن ادعاء أنه يمثل مرحلة النضج الفكري والوجداني للإنسان أمر غير صحيح.

٤- أن الإيمان بوجود خالق ليس وليد الدين بوصفه غريزة إنسانية استدعتها عوامل شتى كما يدعون ، فإن الناس مختلفون في سبل تلبيتهم للغرائز، فإن ذهب البعض إلى أن يخلق لنفسه من محض عقله الاعتقاد

بوجود خالق فلماذا يذهب آخرون هذا المذهب؟

وحقيقة القول أن الإيمان بالخالق هو فطرة إنسانية فطر الله الناس عليها ، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [1]، وقد نبه إلى ذلك الحديث الشريف في قوله ﷺ: (كُلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ...) [2].

فالإيمان بوجود الخالق سبحانه فطرة وإن تباين الناس في تعبيرهم عن مضمونها، وينسب للشهرستانى قوله: «ومما اتفقت حوله الأديان والملل أن للعالم قوة إلهية مدبرة له، بيد أنها لها أسماء شتى»[3]، وما كان اختلافهم في معتقداتهم في الخالق (سبحانه وتعالى) إلا للتفاوت فيما بينهم في الاسترشاد بنور الوحي الإلهي، وبعدهم عن المعين الصحيح ، وعدم فهمهم لمقاصده السامية.

وبعد هذا الطرح لعله أصبح من اليسير أن يجيب المرء على سؤال: هل الإيمان بوجود إله خالق هو الخرافة أم أن إنكار وجوده هو رأس الخرافات

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) رواه البخاري ، باب ما قيل في أولاد المشركين .

(٣) تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، لمحمد إبراهيم الفيومي ، دار الفكر العربي ، بيروت، ص٣٣٠.

وجوهر الضلال؟!

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن في سياق هذه الدراسة هو : إذا كان الإيمان بوجود «إله» فطرة إنسانية والدين غريزة بشرية، فمتى حدث أول انحراف للفطرة فأنكرت وجود الله، وفي أي صورة ظهر؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغى التنبيه أولًا إلى أنه ليس كل انحراف في المعتقد يعد من قبيل الإلحاد بالمعنى الاصطلاحي الذي تهتم به هذه الدراسة، والذي يقصد به «إنكار وجود الله عز وجل»[(١)].

فإن للفظة «الإلحاد» مدلولات شتى، كلها تعبر عن الانحراف العقدي والفكري ، فالناس «يطلقون هذا اللفظ تارة على إنكار وجود الله، وتارة على إنكار علمه وعنايته ، أو قدرته وإرادته ، ويكفي أن ينكر المرء أصلًا من أصول الدين ، أو اعتقادًا من الاعتقادات المألوفة ، أو رأيًا من الآراء الشائعة حتى يتهم بالإلحاد...»[(٢)]، وهذا يعد من قبيل الإلحاد بمعناه العام ودلالته اللغوية ، والتي يراد بها الانحراف والميل عن المعتقدات المألوفة والآراء الدينية المشهورة ، سواء أكانت إلهية المصدر أم بشرية الوضع.

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ١١٩، ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق، ١/ ١١٩.

ولما كانت هذه الدراسة تُعنى بدراسة الإلحاد بوصفه ظاهرة يروج لها حديثًا، ويعبر مضمونها الفكري عن هدم عقيدة الألوهية بإنكار وجود الخالق سبحانه ؛ فإنها سوف تقتصر على تتبع مسار هذا الفكر تاريخيًّا، ولتيسير ذلك يمكننا التمييز بين ثلاث مراحل أساسية مرَّ بها الإلحاد بوصفه ظاهرة:

أولها: مرحلة الظهور الأول ، «بواكير الفكر الإلحادي».

ثانيها: المرحلة الوسيطة.

ثالثها: مرحلة الظهور الحديث والمعاصر.

وفيما يلي إشارة سريعة لكل مرحلة على حدة .

أولا : **مرحلة الظهور الأول** :

وتهتم هذه المرحلة بتحديد أول المواطن الجغرافية والبيئات الفكرية والعصور الزمانية التي احتضنت بذور الفكر الإلحادي ، ولقد ورد في ذلك ثلاثة آراء :

١- رأي يرجع أول إرهاصات الفكر الإلحادي إلى الفلسفة اليونانية ، خاصة في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ، وذلك لما ربط بين الفكر الإلحادي والفكر المادي في تفسيرهما نشأة العالم والموجودات، «فالفلاسفة الماديون ملاحدة ؛ لأنهم قالوا : إن للمادة وجودًا مطلقًا ، وأنها علة الحركة والحياة والفكر...»[1]، ويُذكر أن أول إشارات لهذا الفكر توجد عند "ديمقراطيس" أحد فلاسفة اليونان القدماء ، وتلقفها من بعده " أبيقور".

وقد انقسم حكماء اليونان إلى فئتين: «ذهبت إحداهما إلى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة ، مخالفة للمحسوسات في لوازمها ، منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها ، وأثبتت أن سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهي إلى موجود مجرد واحد... مبرأ الذات من التأليف والتركيب ، ومحال عند العقل تصور التركيب فيه ، وجوده عين حقيقته ، وحقيقته عين وجوده،

(١) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، ١/ ١٢٠ .

وهو المصدر الأول ، والموجد الحقيقى ، والمبدع لجميع الكائنات، مجردة كانت أو مادية، واشتهرت هذه الطائفة بالمتألهين «الخاضعين لله» ومنهم فيثاغورث ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، ومن أهل مذهبهم كثير.

وذهبت الفئة الأخرى إلى نفي كل موجود سوى المادة والماديات، وأن وصف الموجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول وراءه، وعرفت هذه الطائفة بالماديين ، ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثارها ، نسبه الأقدمون منهم إلى طبيعتها... ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين... ورأس القائلين بهذا القول ديمقراطيس»[1].

ويؤيد هذا الرأي د/ عبد الحليم محمود ، فيقول: «نشأ الإلحاد انحرافًا عن الفطرة والدين مع الحضارة اليونانية القديمة ، نشأ يجاور الشرك ويجاور التوحيد»[2].

والمقصود بالتوحيد في النص السابق التوحيد بالمعنى الذي ذهب إليه

---

(١) الرد على الملحدين، المسمى الرد على الدهريين ، للسيد جمال الدين الأفغانى، نقله من الفارسية إلى العربية الشيخ: محمد عبده مفتى الديار المصرية، مطبعة الموسوعات ، مصر ، ص٢٦- ٢٨بتصرف، وانظر: تمهيد للفلسفة، للدكتور/ محمود حمدى زقزوق ، دار المعارف بمصر، وفيه يشير المؤلف إلى أن ديمقريط عاش في الفترة ٣٧٠- ٤٦٠ ق.م، انظر: ص١٦٠ وما بعدها.

(٢) الإسلام والعقل، عبد الحليم محمود، ط دار المعارف، ص٨٨، بتصرف.

بعض الفلاسفة آنذاك[1]، والذي هو نتاج تأمل عقلي وليس مرده إلى الوحى الإلهي.

ويشير د/ عبد الحليم محمود إلى أنه يمكننا الوقوف على البذور الأولى للإلحاد لدى كل من السوفسطائيين، وأبيقور، والرواقيين[2].

ويعتمد أنصار هذا الرأي على نصوص الفلسفة اليونانية، والتاريخ اليونانى القديم، ومن ثم فإنه طرح علمي له ما يؤيده من وثائق ونصوص فلسفية وتاريخية يعتد بها.

وبالرغم من ذلك فإنه من الأهمية بمكان أن يؤخذ هذا الرأي من قبيل الأطروحات التي لها الصدارة في التأريخ للفكر المادي الإلحادي، أما الجزم بأنه «ما كانت الإنسانية تنحرف قط عن التوحيد إلى الإلحاد، وما كان للإلحاد وجود قط فيها قبل الحضارة اليونانية القديمة»[3]، فإنه أمر يحتاج لمزيد من البحث والتأصيل.

فإذا راعينا امتداد الخط الزمني السابق على الحضارة اليونانية إلى حقب موغلة في التاريخ، وأيضًا لو نظرنا إلى امتداد الوجود الإنساني في

---

(١) الإسلام والعقل، عبد الحليم محمود، ص٩٠.

(٢) المرجع السابق، ص٩١.

(٣) المرجع السابق، ص٨٧، وانظر: ص٩١.

بيئات مجتمعية عاصرت الحضارة اليونانية القديمة ، لبرز لنا احتمال أن يكون هناك موضع مكاني أسبق في احتضان الفكر الإلحادي، أو بناء فلسفي وفكرى أسبق في إنماء الفكر الإلحادي وظهوره به.

٢- رأي يرى أن بواكير المذهب الإلحادي تعود إلى الجينية[١] والبوذية[٢] من أديان الهند القديمة ، والتي يؤرخ لها بحقب ما قبل الميلاد، فيذكر أن ظهورهما يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد [٣] باعتبارهما رد فعل مناهضًا لسلطة البراهمة[٤]، وما خلفت من نظام طبقي عانى منه الهنود.

فيذكر أن السبب وراء إنكار مهاويرا - وإليه تنسب الجينية - لوجود خالق ، أن ديانته «كانت نوعًا من المقاومة للهندوسية ، وثورة على سلطان البراهمة، ومن هنا لم يعترف مهاويرا بالآلهة، فالاعتراف بالآلهة قد يخلق من جديد براهمة ، أو كهنة يكونون صلة بين الناس والآلهة ، وقرر أنه لا يوجد

---

(١) تنسب الجينية إلى مهاويرا ، وإن لم يكن هو مؤسسها الأول ، ويذكر أن مولده كان عام ٥٩٩ ق.م، انظر: أديان الهند الكبرى ، د/ أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الحادية عشر ٢٠٠٠م ، ص١٠٧.

(٢) البوذية ومؤسسها سذهاتا، ولد ٥٦٣ ق.م، انظر: الجينية والبوذية عقائدهما والعلاقة بينهما ، د/ عبد الله محيى عزب، حولية أصول الدين، العدد ٥، وانظر: أديان الهند الكبرى، ص١٣١.

(٣) انظر: أديان الهند الكبرى، ص١٠٤.

(٤) المرجع السابق ، ص١١١، وموسوعة الأديان والنحل، د/ أحمد أحمد غلوش. الطبعة الثانية. القاهرة. ٢٠١١م، ص٢١٤، والجينية والبوذية عقائدهما والعلاقة بينهما ، ص٢٤٠٢.

روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون ، ومن هنا سمى هذا الدين دين إلحاد...»[1].

أما بوذا فإن كانت فلسفته مناهضة كذلك للهندوسية وآثامها الطبقية، إلا أن إنكاره للخالق لم يبدو بجلاء في فكره[2]، وذلك لأنه اهتم بالجانب العملي والأخلاقي في دعوته ، ومن ثم نشأ الخلاف حول موقف بوذا من «فكرة الإله»، فهل هو من المنكرين لوجود إله ، فيكون مذهبه أحد مواطن الفكر الإلحادي ، أم أنه أثبت وجود الإله!.

ويرجح أحد الباحثين[3] أن بوذا «اتجه أحيانًا إلى جانب الإنكار أكثر من اتجاهه إلى جانب الإثبات ، فقد وقف في إحدى خطبه يسخر ممن يقولون بوجود الإله ، وكان مما قاله في ذلك: إن المشايخ الذين يتكلمون عن الله وهم لم يروه وجهًا لوجه كالعاشق الذي يذوب كمدًا وهو لا يعرف من هي حبيبته ، أو كالذي يبني السلم وهو لا يدري أين يوجد القصر...»[4].

---

(١) أديان الهند الكبرى، ص١١١، والجينية والبوذية عقائدهما والعلاقة بينهما، ص٢٣٩٤.

(٢) انظر: «الجينية والبوذية عقائدهما والعلاقة بينهما، ص٢٤١٤ وما بعدها، وموسوعة الأديان والنحل، ص٢٠٣.

(٧) هو أ.د/ أحمد شلبي، أستاذ التاريخ والحضارة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، في كتابه «أديان الهند الكبرى».

(٤) أديان الهند الكبرى، ص١٦٢.

ومما يرجح إنكاره لفكرة الألوهية كذلك ما نسب إليه من أقوال مثل: «إن ناموس الطبيعة ليس بخاضع لذات قدس يتصرف فيه كيفما يشاء، بل ذلك الناموس مستقل بذاته ، نافذ بنفسه ، لا يتأثر بمؤثر بشري أو إلهي أبدًا»[١].

ولعل القول بظهور بداية للفكر الإلحادي في الجينية والبوذية من أديان الهند القديمة - وقد أرخ لظهورهما بالقرن السادس قبل الميلاد - فيه ما ينازع بل ويعارض الرأي الأول الذي أثبت البدايات اليونانية للفكر الإلحادي.

٣- رأي يذكر أن أصول الفكر الإلحادي تعود إلى مذهب الدهرية، وهي مما عرف من مذاهب الفرس قديمًا.

فيذكر أن الدهرية هي أصل كل مذاهب الإلحاد والمادية التي عرفتها البشرية، فهي مذهب كل من اعتقد في قدم الزمان والمادة والكون ، وأنكر الألوهية ، والخلق ، والعناية ، والبعث ، والحساب... أما الخلق والتدبير للكون فينسبونه للكواكب [٢].

ويستند هذا الرأي إلى ما أورده المستشرق « دي بور» من أن نشأة

---

(١) أديان الهند الكبرى ، ص١٥١.

(٢) الموسوعة الإسلامية العامة، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م ، مادة الدهرية ، ص٦٤٨.

الدهرية تعود إلى أصول فارسية، وأن كلمة الدهرية «Zrwanismus» كلمة فارسية[(١)] تقابل «الزروانية» نسبة إلى «زروان» أو «زرفان»، وهي تعني الدهر أو الزمن الذي لا نهاية له.

ولقد صار مذهب الدهرية «Zrwanismus» «كما في الأخبار المأثورة ، دينًا ظاهرًا يجاهر الناس للاعتراف به في عهد «يزد جرد الثاني» من الدولة الساسانية (٤٣٨ – ٤٥٧م)...)[(٢)].

ويطلق على أصحاب المذهب الدهري أسماء أخرى تعبر عن مضمون فكرهم: كالماديين ، والحسيين ، ومنكرى الخالق ، وأهل التناسخ[(٣)].

ويؤيد هذا الرأي بعض الباحثين ، ويجد فيه مبررًا لظهور الفكر الدهري في البيئة العربية قبل الإسلام ، وذلك بانتقاله من بلاد فارس إلى العرب الجاهليين عبر مملكة الحيرة[(٤)].

ولقد أشار القرآن الكريم إلى مذهب الدهرية في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ

---

(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام لـ "دي بور"، ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار النهضة العربية، مصر، ص٢٨.

(٢) المرجع السابق ، ص٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٤.

(٤) انظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، ص ٣٢٦ وما بعدها.

مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[1]، ومن الآراء الواردة في تفسير هذه الآية ما ذكره الزمخشري من أن الدهرية كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس ، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة إلى الدهر والزمان...»[2]، ويصنف الإمام "الشهرستاني" دهرية العرب ضمن معطلة العرب الذين ظهرت مقولتهم في البيئة العربية قبل الإسلام[3].

ولقد اهتم علماء الكلام المسلمين بمناقشة الفكر الدهري لما رأوا فيه إنكار الألوهية، والقول بقدم العالم، فيقول القاضي عبد الجبار: «لقد دللنا على إبطال القول بقدم الأجسام ، وأنه لا بد من إثبات صانع مدبر قديم، ودللنا على أن الجسم لا يجوز أن يفعل الجسم ، وذلك يبطل قول من قال منهم بالدهر والتعطيل...»[4].

---

(١) سورة الجاثية: ٢٤.

(٢) الكشاف، ٣/ ٥١٢، ٥١٣، وانظر: تفسير ابن كثير، ٤/ ١٥٠، مفاتيح الغيب، للفخر الرازى، ٢٧/ ٢٣٨.

(٣) انظر: الملل والنحل الإمام الشهرستانى، تحقيق: أ/ محمد سيد كيلانى، مطبعة الحلبى ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م، ٢/ ٢٣٥، وانظر: المغنى في أبواب التوحيد والعدل، القاضى عبد الجبار الأسد آبادى، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، سلسلة تراثنا، ٥/ ١٥٦، ١٥٧.

(٤) المغني، ٥/ ١٥٧.

تلك كانت أهم الآراء المؤرخة للفكر الإلحادي في حقبه الأولى ، ويلحظ من مجموعها أنها اختلفت في تحديد الأصول الفكرية الأولى التي يعود إليها ، كما اختلفت في تحديد بيئته الجغرافية ، وهذا بدوره يثير تساؤل عن الأسبقية الزمنية في الظهور، أكانت للفلسفة اليونانية ، أم أديان الهند، أم للمذاهب الفارسية.

واستنادًا إلى التواريخ المذكورة لدى كل رأي ، فإن أديان الهند تكون لها منزلة الصدارة في الترتيب الزمني ، يليها الفلسفة اليونانية ، أما المذاهب الفارسية فوفقًا للتواريخ المذكورة – وليس ثمة إحالات أخرى تشير إلى أبعد من ذلك – فإنها تعد الأحدث في الظهور.

وهنا تأتي فكرة التأثير والتأثر، فإذا قطع بالأسبقية الزمانية والمكانية لأي من تلك المواطن واتخذ بوصفه الموطن الأول لاحتضان المذهب الإلحادي ، أيكون ذلك مدعاة للقول بتأثيره في غيره من البيئات ، فيكون ثمة تأثير وتأثر حدث ، وتم من خلاله انتقال المذهب الإلحادي إلى البيئات المختلفة؟

وليس بالضرورة أن يكون ثمة مؤثر وآخر متأثر، بل لربما برزت هذه الأفكار في المواطن المشار إليها سلفًا في معزل عن بعضها البعض ، فليس ثمة تواصل قوى يؤهل لقبول فكرة التأثير والتأثر ، وحينها يظل الأمر

المفسر لتعدد البيئات الجغرافية وتنوع المناخ الفكري هو محدودية المنطق العقلي ، وضيق أفقه عندما يعمل نفسه فيما فاق حدوده الإدراكية من قضايا ميتافيزيقية ، خاصة وإن كان في معزل عن نور الوحي وهدايته.

ولو حاولت وضع سمات مميزة لهذه المرحلة من مراحل المذهب الإلحادي ، تميزها عما تلاها من مراحل لكانت على النحو التالي:

(١) أنها جميعًا وليدة فكر عقلي نما بعيدًا عن الوحي الإلهي، استدعته عوامل مختلفة ، كأن يمثل حركة مناهضة لأديان وثنية ، أو أنظمة اجتماعية سيئة خلفتها معتقدات باطلة، أو يكون نتاج تأمل فلسفي مادي، حاول تفسير نشأة العالم والموجودات تفسيرًا يخضع لإدراك الحواس ، ولا يتجاوزها إلى ما لا يخضع للحس والمشاهدة.

(٢) أنها في بيئاتها المختلفة «الهند أو بلاد اليونان أو بلاد فارس» جاورت أنماطًا شتى من الاعتقادات الدينية التي ليس من بينها أديان إلهية، فكأنها أشبه بباطل يدفع باطلًا، وليست بباطل يدفع دينًا إلهيًّا.

(٣) أنها في مناهضتها لمعتقدات عصرها لم تتخذ سوى الجدل والنقاش العقلي سبيلاً لها ، فظل الأمر خاضعًا للذوق الوجداني وللقبول العقلي وحسب ، وهذا بخلاف إلحاد العصر الحديث الذي اتخذ من معطيات العلم الحديث سلاحًا يواجه الدين.

(٤) أنها لم تأخذ الطابع الجماعي إلا فيما خلفت من فلسفات عملية أخلاقية.

(٥) أنها نزعت في فلسفاتها الأخلاقية صوب إشباع الغرائز والشهوات ؛ فكانت مادية في طابعها الميتافيزيقي والأخلاقي ، هذا باستثناء "البوذية الهندية[١]"، فقد اتسمت بالمثالية الأخلاقية ، ولعل السبب في ذلك أنها وإن قامت مناهضة للديانة الهندوسية ، إلا أنها ظلت متأثرة بأخلاقها العملية ، والتي تدعو إلى التقشف والزهد ، ومن هنا كانت البوذية حركة إصلاحية لطبقية الهندوسية[٢]، مخالفة لها في معتقداتها الدينية التي كانت وراء خلق هذا النظام الطبقي ، إلا أنها حافظت على تعاليمها الأخلاقية.

أما فلسفة ديمقراطيس الأخلاقية [٣] المثالية فيمكن إرجاع السبب في ذلك إلى أن آراءه الفلسفية التي استند إليها في تفسير نشأة العالم – وإن كانت مادية محضة تتخذ من المادة أساسًا لها في تفسير كل ما هو موجود، ولا تعترف بما لا يخضع لقوانين المادة من الإدراك والمشاهدة– هي آراء عقلية محضة ، فليس بالضرورة أن تتسم أخلاقه العملية بالمادية كذلك، خاصة وأن مذهبه كان فلسفيًّا بالدرجة الأولى ، ولم يكن موجهًا لمعارضة معتقد ديني أو لنظام أخلاقي.

---

(١) انظر: أديان الهند الكبرى، ص١٣٥ وما بعدها، والجينية البوذية، ص ٢٤-٢٦ وما بعدها.

(٢) انظر: موسوعة الأديان والنحل، ص٢٠٢، ٢٠٣.

(٣) انظر: تمهيد للفلسفة، ص١٦٢.

ثانيا: المرحلة الوسيطة:

وهي مرحلة تلت مرحلة الظهور الأول ، وما شهدته من معتقدات وضعية ، وفلسفات مادية ، وسبقت الظهور الأوسع انتشارًا في العصر الحديث ، وأعني بها ما عرف في أوروبا بالقرون الوسطى، وقد قابل في العالم الإسلامي أوج حضارته وتطوره ، ولعل أهم ملمح مميز لهذه المرحلة عن سابقتها أن الإلحاد ظهر في بيئات عرفت الأديان الإلهية ، فأصبح الإلحاد مناهضًا في أفكاره معتقدات دينية لها ما يؤيدها من الوحي الصحيح.

ويمكن التمييز في هذه المرحلة بين مستويين من المذهب الإلحادي، أحدهما ظهر في العالم الإسلامي ، وثانيهما احتضنته أوروبا ، ولقد كان التمييز بين هذين المستويين مرده إلى أمرين هما:

١- أن العالم الإسلامي في تلك الفترة شهد من النمو الحضاري والتقدم المعرفي ما أهله إلى أن يكون الأسبق حضاريًا في تلك العصور، بينما عانت أوروبا في تلك الفترة – والتي عرفت بالعصور الوسطى – من التخلف الحضاري والجمود العلمي ما وسم تلك الفترة بعصور الظلام لديها، وهذا يوضح تباين البيئتين ثقافيًا وحضاريًا.

٢- أن الإلحاد في البيئة الأوروبية توجه مباشرة صوب إنكار الإلوهية، ومن ثم إنكار الدين بوجه عام ، بينما نجد أن الإلحاد في البيئة

الإسلامية توجه لمناهضة النبوة ، وكأن الإلحاد في تلك الفترة اصطبغ وفقًا لما يناسب بيئته التي ظهر فيها.

ويلمح د/ بدوى إلى ذلك في قوله: «... وبإنكار الإله اللامتناهي عند الغربى ينتفي التدين ، وبإنكار النبوة والأنبياء عند العربي تزول الأديان...»(1)، ويقول أيضًا: «... يجب أن نبصر المعنى الخفي المستتر وراء إنكار النبوة ، إذ لا بد أن يفسر هذا الإنكار على أنه يتعداها إلى الألوهية نفسها؛ لأنه ما دامت النبوة هي السبيل الوحيد الذي تعرفه هذه الروح العربية للوصول إلى الألوهية ، فإنها بقطعها إياه قد قطعت في الوقت نفسه كل سبيل إلى الألوهية كذلك»(2).

ومن تلك الفترة اعتبرت الفلسفة المادية الوجه التنظيري للمذهب الإلحادي ، ومن ثم أصبح البحث في تاريخ الفلسفة المادية بحثًا في تاريخ الإلحاد.

هذا وقد انزوت الفلسفة المادية فترة القرون الوسطى في أوروبا،

---

(1) من تاريخ الإلحاد في الفكر الإسلامي، د/ عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، الطبعة الثانية ، أبريل ١٩٨٠م، ص٥- ٦.

(2) المرجع السابق، ص٦،والشيء بالشيء يذكر، ذلك أن منكرى السُّنة «القرآنيين» وإن لم ينكروا النبوة عقيدة إلا أنهم أنكروها منهجًا وتطبيقًا، وفي ذلك أيضًا قطع للطريق بوجه من الوجوه في الوصول إلى الألوهية.

ويمكننا أن نلمح هذا في قول أ.د/ محمود حمدي زقزوق بأن «هناك العديد من الفلاسفة الماديين في العصر القديم والعصر الحديث ولكننا لا نصادف مثلهم في العصر الوسيط في أوروبا ؛ لأن الفلسفة في ذلك الحين كانت مهمتها خدمة اللاهوت ، فلم يكن هناك مجال لظهور المذاهب المادية التي هي في الغالب مذاهب إلحادية»[1].

غير أن اختفاء المذهب الإلحادي في أوروبا فترة القرون الوسطى كان قاصرًا على المستوى النظري ، أما على المستوى العملي فإنه كان حاضرًا وإن كان مستترًا خلف حركات ادعت الإصلاح.

وإذا انتقلنا إلى العالم الإسلامي وجدنا أنه بنشاط حركة الترجمة – خاصة ترجمة تراث اليونان والفرس– انتقلت إلى الثقافة العربية والإسلامية أفكار منافية للمعتقدات الإسلامية ، تنبه لها من العلماء المسلمين من نقدها ونقضها في سياق علم الكلام والفلسفة الإسلاميين .

وتعد خطورة بعض هذه الأفكار في أنها في مضمونها تهدم المعتقدات الإسلامية ، مثل قولهم بإنكار النبوة ، أو بقدم العالم ، أو نظرية الذرة في تفسير نشأة العالم ، وهي آراء في مجملها تمس عقيدة الألوهية وحقيقة التوحيد.

ويؤرخ لظهور الفكر الإلحادي في الحضارة العربية الإسلامية بظهور

---

(١) تمهيد للفلسفة، ص١٦٠.

دعوة منكرى النبوة [١]، والتي هي في مضمونها هدم لعقيدة الألوهية ، ومن الذين ينسب إليهم هذا الفكر: ابن الراوندي[٢] وأبو زكريا الرازي[٣].

وقد ناقش هذا الفكر علماء الكلام المسلمون مبينين مواضع الانحراف فيه ، وكاشفين عما ينطوى عليه من أفكار هادمة لعقيدة الألوهية وهو ما يعد في الوقت نفسه بمثابة تأريخ لبداية ظهور المذهب الإلحادي في الحضارة الإسلامية ، حيث إنه بظهور مثل هذه الآراء يمكننا التأريخ لظهور المذهب الإلحادي في الحضارة الإسلامية من الناحية النظرية.

أما من الناحية العملية فقد يرى بعض الباحثين أن ظهور حركة الشعوبية[٤] تعد لونًا من ألوان الظهور العملي للمذهب الإلحادي.

وأيًّا كان الأمر فإن الإلحاد بمستوييه العملي أو النظري وإن ظهرا في الحضارة الإسلامية في تلك الفترة إلا أنهما لم يأخذا طابعًا جماعيًّا ، حيث إنه بالنسبة للمستوى الفلسفي النظري كان في غالب أمره مقصورًا على مجالس البحث والدرس ، أما بالنسبة لمستواه العملي فلم يكن اتجاهًا منتشرًا في البيئة الإسلامية.

ولعل أهم الملاحظات التي يمكن تسجيلها على ظاهرة الإلحاد في

---

(١) انظر: تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ٥، ٦، ١٦٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٦٧ وما بعدها.

(٣) انظر: المرجع السابق ، ص١٦٣-١٨٦.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٦٣.

تلك الفترة ما يلي:

١- أن الإلحاد ظهر في أوروبا في ثوب حركات إصلاحية مناهضة للتخلف الفكري والحضاري والمجتمعي ، ومن ثم فإنه اتخذ من مساوئ الحياة في القرون الوسطى ذريعة للدعوة إليه ، وإن كان مستترًا .

٢- أن الإلحاد ظهر في البيئة العربية الإسلامية ولكن بمؤثرات على النقيض من مثيلاتها في البيئة الأوروبية ، أي أنه كان مظهرًا من مظاهر الانفتاح الفكرى والثقافي والحضاري الذي شهدته الحضارة الإسلامية، خاصة بعد اتساع حركة الترجمة لأدبيات الأمم والحضارات السابقة ، أي أنه أحد مثالب حركة التنوير الثقافي والفكري آنذاك.

٣- أن ظهور أفكار إلحادية في البيئة العربية الإسلامية لم يأخذ طابعًا جماعيًّا ، فليس ثمة ما يدعو لذلك ، وإنما كان قاصرًا على البحث والدرس ومجالس العلماء ومدوناتهم نفيًا أو إثباتًا ، أما ادعاء انتقال هذا الفكر للأوساط المجتمعية فليس ثمة ما يؤيده.

٤- أن ظاهرة الإلحاد في بيئتيه الأوروبية والإسلامية آنذاك لم تتخذ من دعائم يستند إليها سوى الحجاج العقلي والنقاش الفكري.

٥- أن أهم مظاهر ظاهرة الإلحاد في تلك الفترة أنها كانت أفكارًا مناهضة لمعتقدات منسوبة لأديان إلهية ، وفي هذا تطور نوعي في مجالات

النقاش ومسائله ، فظهرت قضايا جديدة مثل النبوة ومسائلها ، ولم تكن لتظهر لولا أن المذهب الإلحادي توجه لمعارضة أديان إلهية.

٦- أنه يمكن الوقوف على أدبيات الفكر الإلحادي في هذه الفترة ، خاصة وأن ثمة وثائق ومؤلفات تحوي أفكارهم ما زالت موجودة يمكن الرجوع إليها.

٧- أن الفكر الإلحادي في مراحله الأولى وإن ارتبط بفلسفات أخلاقية مناهضة للمثالية والمبادئ والقيم في بعض صوره ، كما كان الشأن في فلسفة أبيقور ، وفي البعض الآخر التزم المثالية الأخلاقية في فلسفته العملية ، كما هو في فلسفة بوذا ، وديمقراطيس ، إلا أنه بدأ الارتباط الوثيق بينه وبين الفلسفات الأخلاقية المادية الموغلة في إشباع الغرائز والشهوات في هذه الفترة ، وامتد هذا الترابط ليكون هو السمة الغالبة على أخلاق الإلحاد في العصر الحديث.

٨- أن الإلحاد ليس وليد التحرر العقلي أو التقدم العلمي كما يزعم البعض، حيث إن ظهور الإلحاد في أوروبا والعالم الإسلامي في تلك المرحلة الوسيطة على ما بين العالمين الأوروبي والإسلامي آنذاك من تفاوت ثقافي وحضاري خير دليل على ذلك؛ فلم يكن في أوروبا آنذاك أيٌّ من عوامل التقدم ، بل الأمر على نقيض ذلك ، فقد كانت تعاني تخلفًا ورجعية جعلتها

في ذيل الأمم ، والأمر بالنسبة للحضارة الإسلامية والعالم الإسلامي كان مختلفًا ، فقد امتلك المسلمون آنذاك مفاتيح الحضارة ومصابيح التنوير ، وبالرغم من ذلك لم يلق الفكر الإلحادي قبولًا أو انتشارًا بين أبنائه ، بل ظل مطاردًا فكريًّا ومجتمعيًّا ، وظل الدين والتدين هو سمت المجتمع الإسلامي وأهم مميزاته.

❊ ❊ ❊

ثالثا: مرحلة الظهور الحديث والمعاصر:

لقد تباينت آراء المؤرخين المحددة لنهاية القرون الوسطى ، وبدايات العصر الحديث[1]، وبالنظر إلى مجموعها يمكننا أن نستنتج مما أوردوا من أحداث تاريخية – اتخذوا من ذكرها علامات فارقة في تاريخ أوروبا يمكن بالاستناد إليها التأريخ لنهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث – أنها أحداث دارت ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.

وقد اصطلح على هذه الفترة بعصر النهضة، «ويعد عصر النهضة.... بمثابة تمهيد للعصر الحديث ، وقد حدثت في ذلك العصر نهضة شملت كل جوانب الحياة المادية ، والروحية ، والجسمية ، والعقلية ، وظهر ذلك في شكل نهضات أدبية ، وفنية ، وعلمية ، ودينية ، هذا فضلًا عما كان لها من آثار سياسية واجتماعية...»[2].

ويعد ظهور العلمانية بمعناها المتطرف الذي يحاول إقصاء الدين دلالة واضحة على ضعف سلطان الدين في النفوس ، الذي انتقل من طور الخفاء إلى الإعلان المجاهر باعتناق المذهب العلماني.

ولقد مرت العلمانية في الفكر الأوروبي بمرحلتين:

المرحلة الأولى: هي مرحلة العلمانية المعتدلة في القرنين السابع عشر

---

(١) انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة ، لزكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ص١٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٦ بتصرف.

والثامن عشر، وقد اعتبر فيها الدين أمرًا شخصيًّا لا شأن للدولة فيه.

المرحلة الثانية: هي مرحلة العلمانية المتطرفة في القرن التاسع عشر، وقد بلغت ذروتها في التطرف في الفكر المادي التاريخي الذي أراد أن يمحو كل أثر للدين[1].

أي أن الأمر لم يتوقف عند تقلص دور الدين عن شئون الحياة ، وقصر حدوده على نطاق الفردية الشخصية ، وإنما تعداه إلى محاولات محو كل أثر للدين ، سواء على المستوى الفردي الشخصي أو المجتمعي، والعلمانية هنا وبهذا المعنى تعد الوجه الآخر للإلحاد ، ولذلك ينبغي التنبيه لخطورة الدعوات العلمانية وبيان حقيقة مقولاتهم ، وما قد تفضي إليه إذا استمرت دون مواجهة فكرية.

ولم تكن العلمانية المتطرفة الإلحادية – إن جاز التعبير– هي الظهور الأول للمذهب الإلحادي في العصر الحديث ، وإنما سبق وأن ظهر عند دينيه ديدرو (١٧١٣ – ١٧٨٤) ، ولامترى (١٧٠٩–١٧٥١)، وهلباخ (١٧٢٣– ١٧٨٩) ، وأوجست كونت (١٧٩٨– ١٨٥٧)، وغيرهم في الفلسفات المادية الحديثة التي هي إحياء للمادية الإلحادية القديمة عند ديمقراطيس وأبيقور[2].

---

(١) انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة ، لزكريا إبراهيم ، ص٢٣، هامش ١ .

(٢) انظر: تمهيد للفلسفة ، ص١٦٦.

فلقد تطورت مادية العصر الحديث – التي هي المادية الأولى في حقيقة الأمر – تحت تأثير فلسفات ديكارت وجاسندى وهوبز... وتصادف هذه المادية الحديثة بوجه خاص في فلسفة عصر التنوير في فرنسا ، ومن بين ممثليها كل من دينيه ديدرو، ولامترى، وهلباخ، الذين ذهبوا إلى القول بمذهب مادي إلحادى متطرف.

وقد كان ديدرو **Dideror** رئيس تحرير دائرة المعارف الفرنسية المشهورة التي ظهر أول مجلد منها عام (١٧٥١)، وقد قام ديدرو بكتابة العديد من المقالات فيها ، وكانت هذه الدائرة – التي وصل عدد مجلداتها إلى سبعة عشر مجلدًا – بؤرة الزندقة والإلحاد.

وقد اشتملت مؤلفات ديدرو على آرائه التي تدرج فيها من المذهب الطبيعى القائل بوجود الله والمنكر في الوقت نفسه للعناية الإلهية ، إلى الأحادية المادية الزاعمة أن المادة حية بذاتها ، والأحياء تتطور ابتداءً من خلية تحدثها المادة الحية» [١].

أما بارون فون هلباخ **Holbach** فقد ذهب في كتابه المسمى «نظام الطبيعة» – الذي يعد مرجع المذهب المادي [٢] – إلى أنه لا يوجد عدا

---

(١) تمهيد للفلسفة ، ص١٧١.

(٢) الاسم الحقيقي لمؤلف هذا الكتاب، بول هينري ثرى، بارون دي هولباخ، فرنسى مجرى ، وكان هولباخ من رواد الفكر الممهد للثورة الفرنسية ، وأصبحت له ندوات منزلية تفتقت فيها ==

الذرات المادية شيء إلهي أو روحي ، فلا وجود إلا لما هو مادي ، أما ما هو روحي فلا وجود له ، أو هو ليس إلا شيئًا ماديًّا دقيقًا ، فلا وجود إلا للمادة والحركة ، وكل الحوادث تسير حسب قوانين طبيعية ، أي قوانين ميكانيكية عِلِّـيَّة ، وتسرى هذه القوانين أيضًا على الدولة وعلى المجتمع ، فما يسمى في علم الطبيعة قصورًا ذاتيًّا وجذبًا ودفعًا يسمى في المجتمع حب الذات والمحبة والكراهية[1].

وهكذا تتزايد الروابط بين العلم المادي وظهور الإلحاد والترويج لأفكاره في العصر الحديث تحت مظلة العلوم الطبيعية والاكتشافات العلمية الحديثة.

ويأتى القرن التاسع عشر ليشهد المزيد من الاكتشافات العلمية، والنظريات الطبيعية المفسرة لنشأة الكون وأصل الحياة ، وكان من أهم النظريات التي ظهرت في تلك الآونة « نظرية التطور التي قال بها عالم الأحياء الإنجليزى تشارلس دارون **Darwin** (١٨٠٩ – ١٨٨٢م)، وقد عرض دارون عام ١٨٥٩م في كتابه «أصل الأنواع» هذه النظرية...»[2].

=الجدالات والعقول عن مبادئ كان لها أثرها في تمهيد سبل الثورة، أشهرها كتابه نظام الطبيعة ، انظر: تمهيد للفلسفة ، ص١٧٠.

(١) تمهيد للفلسفة، ص١٧١-١٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٤.

وقد ترك دارون في كتابه «أصل الأنواع» مسألة أصل الإنسان معلقة، ولكنه عاد إليها في كتاب آخر صدر عام ١٨٧١م، هو كتاب «أصل الإنسان»، وفي هذا الكتاب امتدت نظرية التطور لتشمل الإنسان أيضًا، وبذلك فقد الإنسان في مذهب دارون مكانته الخاصة في عالم الأحياء، ولم يعد يبدو أن الله قد خلقه خلقًا مباشرًا ، بل بدا نتاجًا للسلالة البيولوجية العامة ، وبذلك كان نوعًا من أنواع الحيوانات بجانب أنواع أخرى كثيرة[١].

ولم يكن لدارون أن يذهب هذا المذهب في تفسير نشأة الإنسان – وليس خلقه – لولا إنكاره لوجود الخالق، واعتقاده بنظرية التطور والارتقاء، وللقارئ أن يتلمس أصول نظرية «التطور» عند دارون في المقولات المنسوبة لأبيقور[٢].

ومما يعجب له العقل أن تظل مثل هذه الأفكار سائدة بين أنصار المذهب الإلحادي يرددونها ويروجون لها على أنها حقائق ، في حين أنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا صحتها ، فظلت مجرد آراء لم يقطع بصحتها مذهبهم العلمي الطبيعي الذي يستندون إليه في التأسيس لمذاهبهم الإلحادية ، هذا

---

(١) تمهيد للفلسفة ، ص١٧٦.

(٢) انظر: الرد على الملحدين ، المسمى بالرد على الدهريين، ص٢٩-٣٠.

بالإضافة إلى ما قدمه العلماء من انتقادات علمية تقوض أصل مقولتهم في التطور.

وإذا انتقلنا للبحث في ظاهرة الإلحاد المعاصرة التي شهدتها مجتمعاتنا العربية والإسلامية لوجدنا أن ادعاء أن عوامل ظهورها في الأوساط الإسلامية مماثلة أو مشابهة لما كان عليه الحال في أوروبا إما يعود لجهل بحقيقة الإسلام ، أو لتجاهل حقيقته ، فما كان ثمة عداء قط بين الإسلام والعلم والعلماء ، وما شجع دين قط – إلهي أو حتى وضعي – على طلب العلم والإفادة منه مثلما الحال في تعاليم الإسلام ، ألا يكفي أن يثبت القرآن الكريم الرفعة والدرجات العلى لا للمؤمنين وحسب، وإنما لأهل العلم كذلك، قال تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾ [(١)]، والأدلة والشواهد من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ومن تطبيق السلف الصالح لأكثر من أن تحصى.

وطوال العقود السابقة والفكر الإلحادي يتردد بين ظهور وانزواء في ساحتي الفكر والأدب ، حتى أطل علينا مجاهرًا بآرائه ، ومعلنًا لها ، متحديًّا المجتمعات في سفور واستعلاء شديدين ، ولقد لعبت وسائل التواصل التكنولوجي الحديثة دورًا مهمًّا في سرعة انتشار هذا الفكر بين بعض الشباب.

---

(١) سورة المجادلة: ١١.

ولعله مما سبق يكون قد اتضح بجلاء أن الفكر الإلحادي لم يكن قط وليد ثقافة العصر الحديث ، كما أنه لم يكن أبدًا أصيلًا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، وإنما هو فكر قديم له جذور ضاربة في عمق التاريخ الإنساني، كما أنه أحد مثالب الثقافات الوافدة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظهور مواقع اللادينيين العرب ذات وشائج قوية بمواقع الملحدين العرب ، ولربما كانت خطوة ممهدة للجهر بالإلحاد ومواقعه على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت».

وهذا بدوره يأخذنا للحديث عن صور الإلحاد أو أسمائه ، وكذلك سماته، فقد ظهر الإلحاد قديمًا وحديثًا تحت أسماء عدة ، اختلفت في الاصطلاح واتفقت في المضمون ، وكان من هذه الأسماء : النيتشرية ، والمادية ، والدهرية ، واللاديني ، والطبيعيون.

أهم سمات الإلحاد في هذه المرحلة « العصر الحديث »:

١- أنه اتخذ من العلوم الطبيعية واكتشافاتها بديلًا عن الدين في تفسيره للحياة ونشأة الكون والأحياء.

٢- أنه لم يكتف بالجدل العقلي ، ولم يستند إلى مجرد الذوق الوجداني في القبول به واعتناقه ، وإنما اعتمد في مجادلة الدين ، أو بالأحرى ما ادعى أنه حقائق دينية جهلًا أو افتراءً ، ومخاصمته على بعض حقائق العلم وإنجازاته

وكثير من المغالطات العلمية ، وكان لذلك أثره الجلي في سرعة انتشاره وتأييده.

٣- أنه ارتبط بالعديد من الحركات الثورية التي غيرت أنظمة بعض الدول سياسيًّا واقتصاديًّا وفكريًّا واجتماعيًّا ، مثل: الشيوعية والماركسية.

٤- أنه ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالفلسفات الأخلاقية المادية التي تؤثر إشباع الرغبات وإرضاء النزوات على الالتزام بأية قوانين أخلاقية «دينية أو مجتمعية»، حتى وإن كان مبعثها الطبيعة العقلانية في النفس الإنسانية ، فهي لم تراع في الإنسان إلا غرائزه المعبرة عن الجانب المادي في طبيعته البشرية.

ومن أهم سمات الفكر الإلحادي التي يتبينها من يطالع مواقع اللادينيين والملحدين العرب، خاصة في نقدهم للإسلام، ما يلي:

١- اجتزاء النصوص من سياقها بغية التوصل إلى أحكام تتنافى في حقيقتها مع مراد النص.

٢- الجهل اللغوي ، وفي بعض الأحيان تعمد إخفاء المعنى الصحيح لبعض النصوص ؛ مما يؤدي إلى الالتباس في فهم المراد منها.

٣- الاعتماد على المغالطات العلمية والمفاهيم المغلوطة والأسلوب الخطابي ، خاصة عند مناقشة قضية دينية من منظور علمي أو العكس، لإيهام التناقض والتعارض بين العلم والدين ، وبيان أن النص الديني لا

يستطيع الثبات أمام حقائق العلم فضلًا عن نقده والتفوق عليه ، جهلًا منهم ، وتلبيسًا على الناس.

٤- تتبع مفاهيم وآراء شاذة واجتهادات مرجوحة ، وادعاء أنها تمثل صحيح الدين ، ثم الطعن عليها متجاهلين حقيقة موقف العلماء منها ونقدهم لها.

٥- محاولة تأكيد أسطورة الصراع المزعوم بين الدين والعلم ، وذلك بتقديم الفروض العلمية على أنها حقائق ومسلمات ونظريات قطع العلم بثبوتها ، مثل نظرية التطور والارتقاء ، وهي في حقيقة الأمر ليست إلا افتراضات لم تثبت أمام الانتقادات التي أثيرت ضدها.

٦- تتبع بعض النصوص الدينية التي يوهم ظاهرها التعارض فيما بينها ، وادعاء أن ثمة تناقضًا ينم عن بشرية النص ، ومن ثم الطعن في عصمة الوحي وقداسة النص الديني.

٧- يلحظ المتتبع لأدبياتهم تحررهم من أخلاقيات النقاش والجدال المنهجي ، كما يلحظ أساليبهم الغوغائية ، وكثرة السباب والتهكم غير المبرر وطريقتهم في خلط الموضوعات والقضايا بطريقة تؤدي إلى التشعب والبعد عن المضمون الحقيقى للقضية المطروح نقاشها، وأهم من ذلك جهلهم بطبيعة ما يطرحون من قضايا للنقاش.

□

أسباب ظهور الإلحاد

إن البشرية لم تعاصر انتشارًا للإلحادِ ، ونفوذًا قويًّا لهُ ، إلا في العصور المتأخرةِ ، فقد كان يوجدُ منهم فئاتٌ وأشتاتٌ ، ولكنّهم قلائلُ ، وظل الأمر على هذه الوتيرة حتى خمسمائة عام مضت ، حيث كانت الشرارة الأولى للإلحاد من قلب العالم الغربي ، ومن هنا يمكن أن نبدأ مباشرة للبحث عن الأسباب التي أدت إلى ظهور هذا الفكر الإلحادي.

أولاً: **أسباب ظهور الإلحاد في العالم الغربي**:

يذكرُ أن أوّلَ كتابٍ مُصرِّحٍ بالإلحادِ وداعٍ لهُ ؛ ظهرَ في أوروبا في سنةِ ١٧٧٠م ، وهو كتاب نظام الطبيعة **"The system of nature"**، للكاتب بارون دي هولباخ ، والذي قطع فيه بضرورة انصراف الإنسان عما وراء الكون إلى الكون نفسه ، فيقول: إن الإنسان موجود في الطبيعة وهو مطوع لقوانينها لا يستطيع أن يعتق ذاته منها.

وقد تبنّى الفكرَ الإلحادي في أوروبا كبارُ الفلاسفةِ والمؤرخينَ ، من أمثال: "نيتشة"، و"فولتيير"، و"كارل ماركس"، و"إنجلز"، و"راسل"، و"كونت"، وغيرهم من كِبار الفلاسفةِ وعلماءِ الاجتماع والتاريخ ، ممّا حدا بالنّاسَ إلى الوثوق بهم ، والتحوّل إلى آرائهم كردّةِ فعلٍ

للمواقفِ الدينية المتطرفة، وكذلكَ ظهور مجموعةٍ من التناقضاتِ بين بعض المعتقدات المشوهة، وبينَ بعض المُخترعاتِ والمُكتشفاتِ العلميّةِ [1].

ويمكن أن نقسم الأسباب التي أدت إلى توجه الغرب للإلحاد إلى الآتى:

(١) أسباب معرفية:

وتتلخص الأسباب المعرفية التي أدت إلى الإلحاد في الغرب إلى سببين رئيسين، وهما:

أ- اكتشافات علمية:

حتى خمسمائة عام مضت، كان المصدر الأساس للمعرفة في أوروبا آراء أرسطو وبطليموس العلمية حول الكون وكوكب الأرض والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي وألحقوها بمفاهيمهم المقدسة[2]، وبناء على هذه المصادر كون إنسان العصور الوسطى في أوروبا صورة عن العالم والكون.

ومع بداية عصر النهضة والتطور العلمي وظهور اكتشافات علمية

---

(١) انظر: الفكر العربي الحديث .. أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي، رئيف خوري، ط. دار الساقي، بيروت، ص ٥٦.

(٢) انظر: رحلة عقل: د/ عمرو شريف، قدم للكتاب: أحمد عكاشة، ط نيولوك للطباعة والنشر، ص ١٤.

تخالف ما رسخ في أذهان المجتمع الأوروبي على أنه حقائق علمية ودينية في الوقت نفسه ، بدأ صراع عميق وشديد بين القديم الذي يظن الناس أنه يمثل الدين ، والجديد الذي يمثل الحقائق العلمية ، فها هو «كوبر نيكوس» عالم الرياضيات بحساباته الرياضية و«جاليليو» بتلسكوبه ، يثبتان أن الأرض ليست مركزًا للكون[1]، بل هي مجرد كوكب تابع يدور حول الشمس ، فانهار الزعم بأن الأرض ثابتة في مركز الكون ، وبأن الشمس والقمر وبقية الكواكب يدورون حولها في دوائر ، وكما انهار هذا الزعم انهارت كثير من المعتقدات بفضل المكتشفات العلمية [2]، مما دفع إلى اعتقاد أن الدين يقف عائقًا أمام التقدم العلمي ، فبدأت العقول في التشكك بأساسيات الدين الثلاثة ، وهي:

١) الإقرار بأن هناك إلـهًا خلق الكون.

٢) أن هناك خطة كونية وغرضًا كونيًّا للكون ، وهو ما يسمى بالغائية.

٣) أن العالم يمثل نظامًا أخلاقيًّا يحدده الإله [3].

---

(١) انظر: فجر الفلسفة قبل سقراط، د/ أحمد فؤاد الأهوانى، ط. عيسى البابى الحلبى، ط الأولى، ١٩٥٤م ، محاضرات ألقاها بالجامعة ما بين عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤م، ص ٢٤٣.

(٢) راجع: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، د/ محمد نبيل النشواتى، دار القلم، دمشق، ص١٩.

(٣) انظر: رحلة عقل، د/ عمرو شريف، ص ١٧.

ومع ظهور نظرية "دارون"- وقد كانت هذه النظرية من أكثر النظريات التي انتشرت في الأوساط العلمية وأحدثت دويًّا كبيرًا في قطاعات متنوعة من العالم - اعتبر البعض أنها ستقوم محل الدين في الجواب عن الأسئلة الرئيسة التي تدور حول خلق الكون، وبدايته، وغاية وجوده، ومصيره؛ ولذلك حازت قبولًا واسعًا لدى طوائف الملحدين[1].

وعلى الرغم من سقوط هذه النظرية في بدايات القرن العشرين، إلا أنها ظلت عقيدة تشبث بها أصحاب الفكر الإلحادي، وكانت تكأة لأفكارهم في هذه المرحلة التاريخية.

أثر نظرية التطور وما صاحبها من أفكار مغلوطة في الدفع بالفكر الإلحادي:

١) الإيهام بأن الفكر الإلحادي قائم على أسس علمية.

٢) الادعاء بأن ما يعتقده المتدينون في وجود إله خالق وما يترتب عليه من شرائع وأديان ملزمة لأتباعها، ما هو إلا نتاج التطور الفكري الذي أدى دوره في مرحلة من مراحل التطور البشرى، والذي لم يعد ملائمًا لهذا العصر.

---

(١) انظر: أصل الأنواع.. نظرية النشوء والارتقاء، تشارلز داروين، ترجمة: إسماعيل مظهر، المجلس الأعلى للثقافة ـ مصر، ١٩٥٩م، المقدمة، المذاهب القديمة للنشوء، ص١٢ .

٣) أن التمسك بهذه الأديان ما هو إلا تخلف ورجعية.

٤) التحرر من الالتزام الديني والأخلاقي ، مما يؤدي إلى انتشار المادية والانحلال الخلقي بكل أنواعه [1].

ب ـ شبهات فلسفية:

يمكننا أن نؤصل للفكر الإلحادي بوجهه الفلسفي بالعودة إلى العصر اليوناني ؛ حيث إن هذا العصر كانت البشرية فيه لا تزال تحبو ؛ فلا اكتشافات علمية متقدمة ولا معارف وجودية كبيرة ، غير أن بعض فلاسفة اليونان ساقوا البشرية إلى الإلحاد بفرضيات جدلية حول عالم ما وراء الطبيعة ؛ حيث قام أصحاب الاتجاه الفلسفي على تقديم أدلة نفي فلسفية فكرية لإبطال بعض المفاهيم ، كإبطال مبدأ السببية ، ونقض مبدأ الخلق ، وطرح مشكلة الخير والشر ، واستحالة الوحي ، ونقد الكتب المقدسة للأديان ، واستحالة الحياة بعد الموت (مسألة الخلود) أو إبطال مفهومها الديني بإثبات نظائر مغايرة لها كالاستنساخ أو العودة للحياة ، وهذا النوع من المعالجات هو الإلحاد القائم على التدليل على نفي وجود الإله ، ومن ثم هو الأكثر حضورًا في مجال المعركة الفكرية بين الإيمان والإلحاد [2].

---

(١) راجع في نظرية النشوء والارتقاء: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، النشواتى ، ص٥٠، وانظر: دراسة حقيقة نظرية دارون ، د/ حامد إسحاق حوجة ، ص١٩.

(٢) راجع:فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، ص ٥، والأسس اللاعقلية للإلحاد ، عمرو علي =

وبهذه الجدليات الفلسفية يمكن أن نستحضر ما يدعيه البعض من أسباب ترك الاعتقاد بأصل وجود إله، وأنها ترجع إلى ثلاثة أسباب رئيسة وهي:

السبب الأول: **دعوى انهدام أدلة الوجود** ؛ التي تتمثل في الاعتقاد وهمًا أو تضليلاً بانهدام كل الأدلة التي أقيمت على أصل وجود إله ، استنادًا إلى قول بعضهم – ومنهم " ديفيد هيوم ، وإيمانويل كنط ، وبرتراند راسل" – بعدم وجود منهج معرفي يصلح لإثبات مسألة كهذه ، وقول آخرين بعدم صلاحية المبادئ التي تستعملها هذه الأدلة لإثبات ما هو أوسع من حدود التجربة والحس ، أو أن البحوث التجريبية في فيزياء الكم قد أثبتت عدم وجود مبادئ مطلقة الصدق ، بما فيها تلك التي تستعمل في أدلة إثبات الوجود الإلهي[1].

السبب الثاني: **مشكلة الشر** ؛ ويتمثل هذا السبب في دعوى إقامة الدليل على امتناع كون العالم من صنع إله ، من ثم لا إله لهذا العالم ، وذلك باعتبار أن كون هذا العالم معلولًا ومصنوعًا من قبل إله أوجده ونظمه، يقتضى أن يكون عالمًا خاليًا من أي نوع من أنواع النقص والفساد ، لأن

=بسيونى، إصدار مجلة براهين لدراسة الإلحاد، ص٢، والإسلام والعقل، ص ٨٨ وما بعدها.

(١) راجع: كهنة الإلحاد الجديد ، د/ هيثم طلعت على سرور، تقديم: د/ عبد الله بن سعيد الشهرى، ص٤٤ وما بعدها.

المفروض أن الإله لو كان موجودًا فسيكون كاملًا لا حد لكماله وعلمه وقدرته وخيره ، فكيف يكون العالم المبتلى بالنقص والفساد والشر ـ الذي هو عالمنا ـ مصنع إله كامل لا حد لكماله وعلمه وقدرته وخيره؟ ونتيجة لهذا الوهم الخاطئ يدعون أنه ليس لعالمنا إله ، أي ليس لنا إله[1].

السبب الثالث: دعوى امتناع تصور فكرة الإله ؛ وهذا السبب يتمثل في دعوى إقامة الدليل على امتناع نفس فكرة الإله ، من خلال بيان أن الإله المدعى وجوده يجب أن يكون بريئًا من جميع صفات العالم الذي نعيش فيه ؛ لأن هذه الصفات نفسها يتم استخدامها لإثبات حاجة العالم لإله؛ فهذا يعني أن الإله المزعوم وجوده لا يمكن أن يكون جسمًا ، ولا في مكان ، ولا في زمان ، ولا شكل له ، ولكن فكرة الإله الخالي من كل هذه الصفات ، ليس سوى لفظ فارغ من أي معنى ، لأننا مهما سعينا لتصور معنى ما واستحضاره في ذهننا فإننا سنجده قهرًا موصوفًا بصفة من تلك الصفات ، فكيف يمكن أن نتصور شيئًا لا هو بجسم ، ولا هو ذو شكل، ولا هو في مكان ، ولا هو في زمان ، ففكرة الإله ليست بفكرة، وإنما هي مجرد اسم يطلق على ما هو فاقد لكل الصفات ، وفقد هذه الصفات يلغي معناه [2].

---

(١) راجع: كهنة الإلحاد الجديد ، د/ هيثم طلعت على سرور، ص٤٥.

(٢) انظر: الإلحاد وأسبابه ومفاتيح العلاج، محمد ناصر، ط.مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، العراق، ص ٧٥، والأدلة المادية على وجود الله، الشيخ/ محمد متولى الشعراوى.

(٢) أسباب حضارية:

الإشكالية الحضارية مدارها على التطور الحضاري الغربي الحديث، حيث رسخ في الوعي الغربي أن الدين السائد عندهم كما اعتقدوه وفهموه حاجز أمام جميع أشكال التقدم العلمي والتطور الحضاري، وأن التخلص من هذا الدين وإنكار وجود إله أو قوة غيبية تدبر وتدير هذا العالم هو الوسيلة المثلى لمواصلة الحضارة الغربية الحديثة رحلتها في مسار تحرير الإنسان وتحقيق رفاهيته جهلًا وافتراءً ، ولا شك أن هذه الفكرة مبنية على غلط شائع في مجال نقد الأفكار قصدًا أو جهلًا ، وهي الخلط بين كمال المبادئ والنقص الحاصل في تطبيقها ، وتحميل الفكرة المساوئ التي يرتكبها من ينتسب إليها.

(٣) أسباب اقتصادية:

من العوامل التي ساعدت على انتشار موجة الإلحاد ، ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية ، وخاصة الشيوعية التي بشر بها كارل ماركس ، فبالرغم من أن هذا المذهب ينطلق من منطلق اقتصادي ويستهدف معالجة المظالم الرأسمالية الفردية والسيطرة على مجتمع اشتراكي؛ إلا أن أتباع هذا المذهب الاقتصادي أعطوه أبعادًا أخرى غير اقتصادية ، فزعموا أن الناس عليهم أن يحيوا هذه الحياة بكل منافعها المادية ، حيث لا بعث ولا حساب ولا إله ، وأن ظهور الأديان إنما كان من فعل الأغنياء ليلبسوا على الفقراء .

(٤) أسباب اجتماعية:

إن الظروف الاجتماعية المعوجة التي عانتها أوروبا من انتشار المظالم الهائلة ، وظهور الطبقية المتفاوتة وما خلفته من مساوئ ، وعدم القدرة على تحقيق قيمة العدل في المجتمع ، كل ذلك كان سببًا في تغذية الفكر الإلحادي التي دفع العقول لرفض التقيد بفكرة وجود إله يرعى مصالح الناس .

(٥) أسباب نفسية:

حول السيكولوجية النفسية للأفراد والجماعات القابلة للإلحاد وأسبابها ، دارت دراسة مستفيضة من عالم النفس الأمريكي « بول فيتز »، فقد أصدر كتابًا بعنوان « علم نفس الإلحاد » ليفتح بابًا لدراسة الأسباب النفسية للإلحاد ، وفي هذه الدراسة يؤكد أن العائق وراء الإيمان بوجود إله، ومن ثم الكفر به والانصياع للفكر الإلحادي ، في كثير من الأحيان يرجع إلى أسباب ذاتية ؛ نفسية أو شخصية أو اجتماعية ، فيقول فيتز في كتابه : إن يقيني أن وراء كل ملحد وما يقدمه من أسباب علمية أو منطقية لإلحاده العديد من العوامل النفسية والشخصية [١].

فقد تخلق الأزمات النفسية لدى الأفراد والمجتمعات – بسبب وقوع الابتلاءات الخاصة أو العامة – قابلية للإلحاد أو سببًا مباشرًا له ، « أو أحيانًا بسبب الجهل بطبيعة العلاقة بين الرب والعبد ، وبمعاني الابتلاء والحكمة

---

(١) انظر: الإلحاد مشكلة نفسية، د/ عمرو شريف، مراجعة: د/ أحمد عكاشة، ط.نيو لوك للطبع والنشر، ص ١١٥.

من وجود الشرور في الكون»[1].

وبالفعل لقد تعرض المجتمع الغربي لاضطرابات فكرية ومعرفية وموجات جامحة من عدم الاتزان والشك إثر الثورة العلمية الحديثة ، كما صاحب ذلك ثورة صناعية هائلة غيرت وجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ومن ثم حدث إخلال طبقي مجتمعي هائل ، واندفاعة كبيرة جامحة وراء سبل الحضارة والنهم من معطياتها الكبيرة ، والانغماس في المادية والبحث وراء الارتواء الحسي ، فما من شك أن هذه المعطيات ، الحضاري منها والثقافي والفكري ، بعيدًا عن الهدى الديني الصحيح كفيل بأن يخلق في النفوس دوافع سيكولوجية تسعى وراء الالحاد ، للتحرر من القيود الدينية الملزمة لها بهجر الشهوات إلا بقيود ، يضاف إلى ذلك أن فقد أو سقوط المثل الأعلى والقدوة باعتباره مصدرًا للقيم والأخلاق يسبب سقوط الحصن الذي يمنع الشباب من التأثر النفسي بالمؤثرات السابقة، وهو ما عبَّر عنه فيتز بنظرية «فاقد الأب»[2].

ثانيا: أسباب ظهور الإلحاد في العالم العربي:

(١) أسباب معرفية:

إن النهضة العلمية التي بدأت في الغرب وانتقلت للشرق انتقل معها الفكر المادي بوصفه جزءًا من الفكر الغربي ، وتسببت بسريان موجة من

---

(١) انظر: الإلحاد مشكلة نفسية ، ص ١١٩.

(٢) راجع: المرجع السابق، د/ عمرو شريف، ص ١١٩ وما بعدها.

الإلحاد بسبب اعتناق بعض الذين تأثروا بهذا الفكر المادي الغربي ودافعوا عنه ، وبدا ذلك في بعض الذين تعلموا على أيدي أساتذة غربيين(١).

بالإضافة إلى أن الانبهار بالعلوم الطبيعية التجريبية أدى إلى المغالاة الشديدة في الاعتداد بالمنهج التجريبي وإنكار ما دونه من مناهج معرفية ، مما أوصل البعض إلى إنكار كل حقيقة لا تخضع لهذا المنهج(٢).

كما أن بعض المذاهب الفكرية التي تسربت إلى العالم العربي كالوجودية كانت سببًا في الإلحاد ؛ حيث إنه مذهب يدعو كل إنسان لأن يحقق حيثيات وجوده حسبما يرى وتبعًا لما يريد ، غير متقيد بعرف ولا عادات ولا دين(٣).

(٢) أسباب حضارية:

لقد تأثرت المجتمعات العربية بملامح الحضارة الغربية الحديثة، وبهرتها الانطلاقة العملاقة إلى أفاق متقدمة من الرفاهية الفكرية والمادية، فتملكتها حالة التبعية للغرب ، واستأثرت بها النظرة الشمولية للحضارة،

---

(١) انظر: جهود المفكرين المسلمين في مقاومة التيار الإلحادى، محمود عبدالحكيم عثمان، مكتبة المعارف الرياض،ص ٣٨ – ٤٠.

(٢) انظر: الإلحاد خطر كامن يُهدد الشباب ، الحقيقة والأسباب والعلاج ، د. ضياء دويدار، بحث منشور على شبكة الإنترنت ، ص٣١.

(٣) انظر: المرجع السابق ، ص٣٣.

فهيئ لها واستقر في أذهان بعض أبناء العالم العربي أن التقدم الحضاري الغربي سببه أن الغربيين فصلوا الدين عن العلم ، بل أنكروا الدين وتمردوا عليه ؛ فاستقامت الحياة ، وحصدوا التقدم الصناعى والمعرفي والحضاري.

يضاف إلى ذلك انفتاح العالم الفضائي بشقيه – القنوات الفضائية والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي- وما يُبَثُّ فيهما من شهوات وشبهات تأخذ كل واحدة منهما بنصيبها من النشء والشباب ، ويسهل انتقال الأفكار بسهولة ويسر ، مع عدم وجود حملة تحصين مضادة لآثارها(١).

(٣) أسباب نفسية:

تعد العوامل النفسية والشخصية كثيرة ، ومنها:

١) الإفراط في تقدير الذات ، ومحاولة الشخص إشباع رغبته بالشعور بأنه الأفضل، وأنه فوق الناس في عقله وذكائه وعبقريته ، وأن الناس دونه، فيجد في الإلحاد وسيلة لإشباع هذه الرغبة وهمًا وجهلًا ، محاولًا إقناع نفسه بأن الإلحاد قمة العبقرية والنخبوية، وأنه لا يبلغه إلا أصحاب العقول الفريدة ، وأنه منهم ، وأن كل من حوله رجعيون لأنهم يؤمنون بالقوى الغيبية ، ويتعبون أنفسهم بالعبادات ،

---

(١) انظر: الإلحاد خطر كامن يُهدد الشباب، الحقيقة والأسباب والعلاج ، ص٣٤ وما بعدها.

ويحرمونها اللذائذ والمتع، ومثل هذا النوع يتصف بسلاطة اللسان وكثرة السخرية والاستهزاء والازدراء بالآخر والاستعلاء بالنفس.

٢) الإفراط في الحرية الفردية إلى درجة التكبر ، ورفض مبدأ الأمر والنهي، والرغبة في التحلل من التكاليف الدينية والقيود الاجتماعية، والانسياق وراء الهوى واللامبالاة ، والاضطرابات الشخصية ، والأمراض النفسية ، والوسواس القهري ، وغيرها.

٣) محاولة التخلص من عقدة النقص والشعور بالدونية والتي تتسلل إلى الشخص نتيجة الهزيمة النفسية ، وتنجم عن المقارنات الخاطئة بين بعض المجتمعات العربية وغيرها، وخاصة في مضمار العلوم الحديثة، فتجده يربط كل نقص وتخلف عند بعض المسلمين بالإسلام، ويربط كل نجاح وتطور في الغرب أو الشرق بالإلحاد.

٤) التطرف أيًّا كان نوعه ؛ دينيًّا أو اجتماعيًّا أو غير ذلك ، والإفراط في جلد الذات ، والتضييق على النفس ، والانغلاق العقلي ، بعيدًا عن الشرع والعقل والفطرة ، مما يوقع النفس في النفرة ، فيأتي الإلحاد كردة فعل ساخطة ، ومن فقد بوصلة الاعتدال عصفت به الرياح إلى أي اتجاه ، وفي الحديث : (هَلَكَ المتَنَطِّعُونَ)[١]؛ أي: المتشددون.

---

(١) صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة الحلبي، مصر، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، حديث رقم ٢٦٧٠.

٥) الخلل النفسي المتمثل في العجز عن الملاءَمة بين ممارسة التدين في مراتبه العالية والتعامل مع مُخرَجات الحضارة المادية المعاصرة ، وبسبب عدم فهم مراتب الأعمال وما يتيحه الإسلام من إمكانات للتعامل مع ضعف النفس البشرية ، فإن الكثيرين يختارون التضحية بالتدين عبر رفض المنظومة الدينية بأكملها ، لتسلم لهم تلبية الشهوات دون قيد أو شرط».

(٤) أسباب مجتمعية:

١) إشكالية الأمية – ونعنى أمية المعرفة والوعي لا أمية القراءة والكتابة – التي تؤدي بأصحابها إلى أفق ضيق ، لا يستطيعون تفنيد معطيات الفكر المنحرف ، فيقعون فريسة لهذا الفكر الإلحادي المنحرف بثقافتهم السطحية الضحلة.

٢) الأمية الدينية والتي تعد خطرًا كبيرًا ، وخاصة في ظل مناخ العولمة والانفتاح الثقافي على الآخر ، والتواصل السريع عبر وسائل الاتصالات السريعة ، التي أدت إلى أن أصبح العالم قرية صغيرة ، مع كثرة المواقع المشبوهة ، وكثرة ما يبث من شبهات عبر مواقع تواصل عالمية، تساهلت حتى مع الشتم البذيء والازدراء الفاحش الذي يصدر من المتهجمين على الذات العلية، وعلى ذوات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

وكما أن الإلحاد قد يصادف قلبًا خاويًا فيتمكن منه، فقد يصادف أيضا عقلًا خاويًا فيفتك به، وقد يقع الشاب بسبب ضعف المناعة العلمية ضحية لأفكار تمهد للإلحاد، أو تقود إليه، أو توقع فيه[1].

٣) التعرض للشبهات دون تحصيل الحد الأدنى من المناعة الفكرية، وذلك بالدخول في نقاشات غير متكافئة مع الملاحدة ومنتقدى الأديان، مع الاستهانة بقدرات الخصم على التشكيك والهدم ، ويكرّس هذا الأمرَ لدى كثير من الشباب مزاجُ الانطلاق والتحرر، ورفض «الوصاية» من العلماء وأهل الخبرة.

٤) تضخيم نقائص المتدينين وتحميل تبعاتها للدين ، سواء تلك المتعلقة بالنقص البشرى، كالعجز والظلم والجهل والشهوة والكسل واتباع الهوى ونحو ذلك ، أو المتعلقة بالخلل في تطبيق الدين بفهم منحرف أو تأويل بعيد لنصوص الوحى.

٥) القصور عن الاحتضان الروحي العملي للشباب ، والاكتفاء بدروس علمية جافة ، أو مواعظ ينقصها التجديد والإبداع.

٦) رغبة كثير من الشباب في التمرد على العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات العربية، والتي يراها مكبلةً له ومتضادة مع مفهومه للحرية الشخصية.

---

(١) انظر: الإلحاد المعاصر، د/ خالد بن محمد الشهرى، ص ٦٥ وما بعدها.

٧) التشدد والجمود الدينى الذي يؤدي بدوره إلى النفور من الدين والتدين، فالغالبية العظمى ممن ألحدوا كان إلحادهم ردة فعل نفسية نتيجة التشدد الدينى أو الاجتماعي أو الأسرى، والتطرف الفكرى.

٨) وجود أطروحات عقلية أو تساؤلات بديهية في عقول النشء ، تدور حول المُوجِد والموجود ، تبحث عن إجابة ، تقابل بردود فعل تكبتها وتقمعها، فكثيرٌ ممن ألحدوا كان إلحادهم نتيجة لتساؤلات أربكت عقولهم فبحثوا عن إجابات لها ولم يجدوا شيئًا [١].

(٥) غلو الجماعات المتطرفة:

إن مسالك الغلو والتكفير والتفجير والإرهاب واستباحة دماء الآمنين وترويعهم من قبل جماعات التطرف أدى عند البعض إلى تطرف مضاد ، وصل عند البعض إلى الكفر بالأديان كلها .

* * *

(١) انظر: الإلحاد خطر كامن يُهدد الشباب، الحقيقة والأسباب والعلاج ، د/ ضياء دويدار، ص٣٨ وما بعدها ، وراجع: النبأ العظيم.. نظرات جديدة في القرآن، د/ عبد الله دراز ، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

خُطورة الإلحاد على الفرد والأسرة والمجتمع

الإلحاد ظاهرة خطيرة ، وتبدو خطورتها على الفرد ، ثم تنعكس على الأسـرة ثم المجتمع ؛ لأن الفرد – كما هو مقرر– نواة الأسـرة ، والأسرة خلية المجتمع .

وقد أجمعت الشـرائع السماوية على ما فيه خير البشـرية ، وما يؤدي إلى سلامة النفس والمال والعرض ، وقيم العدل ، والمساواة ، والصدق ، والأمانة ، والحلم ، وصلاح البلاد والعباد ، وغيرها ، وهي ما يعبر عنها بالمقاصد الشرعية ، وهي مبادئ إنسانية عامة لم تختلف عليها الشرائع السماوية ، ولم تنسخ في أي شريعة منها.

أما الإلحاد فله مفاسد وشـرور لا تُحصى ولا تعد على الفرد ، والمجتمع والأمم ، والشعوب ، منها : اختلال القيم ، وانتشار الجريمة ، وتفكك الأسرة والمجتمع ، والخواء والاضطراب النفسي ، وتفشي ظواهر خطيرة كالانتحار ، والشذوذ ، والاكتئاب النفسي.

كما أن السير في هذا الدرب مدمر لصاحبه ، مهلك له في دنياه وآخرته ، فواقع الملحدين مرٌّ مليء بالأمراض النفسية والجسدية من الشذوذ ، والانحراف ، والاكتئاب ، وتفشي الجريمة ، واتساع نطاق الانتحار والقتل والتدمير ، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ

مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[2].

وهذا يؤكد أن الدين قوام الحياة الطبيعية وعمادها ، والحياة بلا دين حياة بلا قيم ، بلا ضوابط ، بلا أخلاق ، والدين هو العمود الفقري لضبط مسار البشرية على الطريق القويم ، ولا يمكن للعقوبات الدنيوية والأعراف والتقاليد وحدها – مهما كانت دقتها – أن تضبط حركة الإنسان في الكون ، ما لم يكن لهذا الإنسان ارتباط وثيق بخالقه [3].

وعلى هذا فخطورة الإلحاد تتضح من خلال ما يلي:

أولا: خطورة الإلحاد على الفرد.

ثانيا: خطورة الإلحاد على الأسرة والمجتمع.

---

(١) سورة طه: ١٢٤-١٢٧

(٢) سورة محمد: ٨.

(٣) بناء الوعى، أ.د/ محمد مختار جمعة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص ٣٨-٤١.

أولا : خطورة الإلحاد على الفرد:

تظهر خطورة الإلحاد على الفرد ظهورا جليًّا إذا لم ينتهج منهج الله القويم وذلك لأن الإلحاد يضيع المقاصد الشرعية التي تجب مراعاتها وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال، وكذا حفظ الوطن(١).

ولبيان أثر الإلحاد على كل مقصد من هذه المقاصد وانعكاس ذلك على الفرد نتناول كل مقصد بالتفصيل فيما يلي:

مقصد حفظ الدين:

الدين هو القواعد الإلهية التي بعث الله بها الرسل عليهم السلام ؛ لترشد الناس إلى الحق في الاعتقاد ، وإلى الخير في السلوك والمعاملة ، وبدخولهم تحت تلك القواعد والخضوع لها أمرًا ونهيًا تحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة(٢)، قال الله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾(٣).

ولا شك أن الإلحاد بمعنييه وهو إنكار وجود الله سبحانه وتعالى ، أو إنكار الدين، يأتي على هذا المقصد من أصله ، فليس هناك مَنْ نَدين له

---

(١) الكليات الست رؤية عصرية، أ.د/ محمد مختار جمعة، ط وزارة الأوقاف، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ص ١٢-١٣.

(٢) المقاصد العامة ، يوسف العالم، ص ٢٠٧ -٢٠٨، والدين العالمي، للشيخ/ عطية صقر، ص ١٠.

(٣) سورة طه : ١٢٣، ١٢٤.

بالدين ، وليس هناك – من باب أولى – دين.

وهذا يعنى أن يعيش الإنسان كالبهائم بل أضل من البهائم، كما قال تعالى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[١]، فهو يعيث في الأرض فسادًا بلا وازع ولا رادع ، عابدًا لهواه ، كما قال سبحانه: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٢].

والحقيقة أن الملحدين لا يحركهم إلا الجهل أو الهوى، فبالجهل ينكرون بديهات العقل وهو أن لكل حادث محدث، وبالهوى تحركهم الشهوات، فيريدون التخلص من قيود الدين وأحكامه، حتى يرتعوا ويأكلوا ويتمتعوا، يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [٣].

مقصد حفظ النفس:

لقد خلق الله الإنسان وألبسه ثوب الكرامة، وفضله على كثير ممن خلق بالعقل، والعلم، والبيان، والنطق، والشكل، والصورة الحسنة ، والهيئة

---

(١) سورة الفرقان: ٤٤.

(٢) سورة الجاثية: ٢٣.

(٣) سورة محمد: ١٢.

الشريفة، والقامة المعتدلة، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر، واقتناص الأخلاق الفاضلة ، وشمله بالرعاية والعناية وهو نطفة في داخل الرحم وفي جميع أطواره إلى أن صار خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين(١).

وحفظ النفوس هو حفظ الأرواح من التلف أفرادًا وجماعات ؛ لأن العالم (المجتمع) مركب من أفراد الإنسان، وفي كل نفس خصائصها التي بها بعض قوام العالم.

وليس المراد بحفظ النفس حفظها بالقصاص كما مثل له الفقهاء؛ لأنه تدارك بعد الفوات ، بل الحفظ أهمه حفظها عن التلف قبل وقوعه(٢)، وكذلك ليس المقصود بحفظ النفس حفظها من الجانب المادي فقط، بل المراد عصمة الذات الإنسانية في عناصرها المادية والمعنوية ؛ وذلك إقامة لأصلها الذي يعد المحور الذي تدور عليه عمارة الأرض ويتحقق به معنى الاستخلاف فيها(٣).

فالغاية العظمى التي ترمى إليها رسالة الإسلام من حفظ النفس

---

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، يوسف حامد العالم ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض، السعودية ، ص ٢٧١.

(٢) مقاصد الشريعة ، لابن عاشور ، تحقيق: محمد ابن الخوجة ، طبع سنة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٣٠٣.

(٤) المقاصد العامة ، ابن زغيبة ، رسالة دكتوراه ، دار الصفوة ، مصر ص١٧٦ .

تزكية الأنفس وتطهيرها[1]، قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[4]؛ ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ: (اللّهمَ آتِ نَفْسِى تَقْوَاهَا وزكِّها أنتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاها...) [5]، وقد أقسم الله تعالى أحد عشر قسمًا على فلاح من زكاها، وعلى خيبة من دساها، كما في سورة الشمس ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١/ ٨١.

(٢) سورة البقرة: ١٢٩.

(٣) سورة الجمعة: ٢.

(٤) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

﴿٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1] .

ولهذه التزكية وسائل روحية، منها ما هو معنوى ومنها ما هو عملى، حتى تزكو هذه النفس بالفضائل وتخلو من الرذائل، فمن الوسائل المعنوية: توحيد الله تعالى، والتوبة، والصبر، والصدق، والمراقبة ، والمجاهدة وغيرها، ومن الوسائل العملية للتزكية: الصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، والذِّكر، وطلب العلم وغيرها.

ولكن الإلحاد يأتي على هذه النفس بالهلاك المادي بالانتحار ، أو الهلاك المعنوى بأن يعيش كالبهائم – بل أضل – بلا هدف وبلا غاية!

«إن منهج الملحدين لم يُنتج لهم سكينة ولا طمأنينة ولا سعادة ؛ يدل على ذلك الإحصاءات العالمية التي تتحدث عن نسبة طردية بين الإلحاد والانتحار» [2]، فالإلحاد قد يؤدي إلى موت النفس ماديًّا بالانتحار، كما أنه موت للنفس معنويًّا بأن تعيش – بلا معنى ولا قيمة – عيشةً أحط من عيشة الأنعام!

وفي حين يقصد الإسلام إلى تزكية النفس فإن الإلحاد يُدنِّس تلك

---

(١) سورة الشمس: ٩- ١٠.

(٢) الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته، د/ صالح بن عبدالعزيز بن عثمان سندى، دار اللؤلؤة، بيروت- لبنان، ط الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص ٣٩.

النفس ويغمسها عن آخرها في الذنوب والمعاصي ؛ فتتخلى عن الفضائل وتمتلئ بالرذائل!.

مقصد حفظ النسل:

لا خلاف في أن حفظ النسل وحفظ النسب وحفظ العرض من المقاصد الضرورية ، وإن كان حفظ النسل ضروريًّا فيما يخص الإنسانية ، فإن حفظ النسب ضروري فيما يخص الأسرة ، وحفظ العرض ضروري فيما يخص الفرد ، وبين الثلاثة ارتباط وثيق، فحفظ العرض يؤدي إلى حفظ النسب، وحفظ النسب يؤدي إلى حفظ النسل[1].

ولا شك أن الآثار السيئة للإلحاد تضيع هذا المقصد ؛ حيث تنهار الأخلاق والقيم، وتنهدم مشاعر القربى والرحم ، وتتفكك الأسر وتنحلّ، وبانحلالها ينهدم النسل والنسب والعرض.

مقصد حفظ العقل:

لقد فضل الله الإنسان بالعقل وميزه به عن سائر الخلق ، من أجل التفكر والتأمل والتدبر والتمييز ، ونعى على من أهملوا هذه النعم ولم يوفوها حقها ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾[2] ، ﴿ أَفَلَا

---

(1) الكليات الست.. رؤية عصرية ، أ.د/ محمد مختار جمعة ، ص٨٦.

(2) سورة يس : ٦٨.

﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾[1] ، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[2]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[3]، وبهذا العقل صار الإنسان خليفة الله في أرضه.

وكون العقل مصلحة عظمى، وقيمة عليا ، وميزة كبرى ، لا يماري في ذلك أحد، وجلب مصالح الدنيا والآخرة يحتاج إلى الشرع ، والشرع لا يقوم إلا على العقل؛ لأنه أساس التكليف[4].

ورغم إعلاء الإسلام لقيمة العقل وحرصه على حفظه من جانبي الوجود والعدم ، والعمل على تنميته ، فالإسلام فتح الطريق أمام العقل تفكرًا وتأملًا، فلا توجد آية ولا حديث يحجر على العقل أو يقف في طريقه.

ولكن الإلحاد بأساليبه لا يحترم العقل ؛ لأن أساليب الملاحدة ومناهجهم في التحرير والمناقشة تعتمد أسلوب المغالطة الجدلية والتلبيس على المحاور، وهم في هذا لا يحترمون المنهج العلمي السليم في المناظرة[5].

إن المنهج الإلحادي منهج متناقض يكذِّب بالشيء ويصدق نظيره، فهو على سبيل المثال يكذِّب أن الله تعالى خلق آدم (عليه السلام) من طين ثم

---

(١) سورة الأنعام :٥٠.

(٢) سورة الأنعام : ٨٠.

(٣) سورة محمد : ٢٤ .

(٤) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص ٣٢٥.

(٥) الإلحاد وسائله وخطره ، ص٤٣.

تناسل البشر بعده؛ لأنه – عنده – غيب ، وفي مقابل هذا يصدِّق بأن أصل الإنسان خلية وجدت من قبل ملايين السنين ثم تطورت من خلال الانتخاب الطبيعي ، مع أن هذا غيب بالنسبة له أيضًا ! لكنه مقبول عنده؛ لأن مصدره إلحادى، وذاك مردود ؛ لأن مصدره وحى! فالمنهج الإلحادي إذن منهج متناقض، ليس له حاكم إلا الهوى[1]، فالملحدون هم أعداء العقل وبدهياته ، وإن زعموا أنهم عقلانيون.

ولذلك تجد «أنتوني فلو» الذي يعتبر أشرس ملحد في النصف الثاني من القرن العشرين يعود بعد رحلة طويلة إلى الإيمان بوجود إله ، وذلك بعد أن جاوز الثمانين من عمره ، وأصدر عام ٢٠٠٧م كتابًا يشرح فيه الدوافع وراء هذا التحول ، والتي تتلخص فيما أظهرته الاكتشافات العلمية الحديثة من تعقيد مبهر في بنية ونشأة الكون والحياة[2] !

مقصد حفظ المال:

من الحقائق التي لا يشك فيها أحد أن المال ضرورة من ضرورات الحياة التي لا غنى عنها للإنسان في قوته ولباسه ومسكنه ، فبالمال يُشبع حاجاته الضرورية والحاجية والتحسينية.

وقد ورد ذكر المال في القرآن الكريم في مواطن كثيرة ، وفي السنة

---

(١) الإلحاد وسائله وخطره ، ص ٣٥.

(٢) رحلة عقل، ص ٩-١٠.

النبوية كذلك، وهو أحد أمرين هما زينة الحياة الدنيا كما أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك، قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1]، فالإسلام يدعو إلى جمع المال من الحلال، وإنفاقه في الحلال، والحفاظ عليه من الإسراف والتبذير وكل أنواع إفساده.

ولكن الإلحاد كما يفسد ويدمر ما سبق من مقاصد يدمر المال أيضًا، وذلك لأن الإلحاد لا يربي الضمير ولا يخوِّف الإنسان من إله قوي قادر يراقب تصرفاته وأعماله في هذه الأرض؛ فينشأ الملحد غليظ القلب عديم الإحساس، قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم ويأمره بالإحسان والرحمة.

بل على العكس من ذلك فإن الإلحاد يُعلِّم أتباعه أنهم وجدوا هكذا صدفةً ولم يخلقهم خالق، أو أنهم خلقوا أنفسهم، وأنهم حيوانات أرضية كسائر الحيوانات التي تدب على الأرض ، وبذلك يغلظ إحساسهم ، ويتنامى شعورهم بالحيوانية والانحطاط ، ويتجهون إلى إثبات ذواتهم بالإغراق في الشهوات والملذات.

وإذا منعتهم ظروفهم المعيشية أو القوانين الوضعية البشرية عن بلوغ غاياتهم وأهدافهم الحيوانية فإنهم يقومون بالتغلب على تلك الظروف،

---

(١) سورة الكهف: ٤٦.

وذلك إما بالحيلة والمكر، وإما بالقوة والغلبة، وفي كلا الأمرين لا يجد الملحد رادعًا داخليًّا يردعه؛ لأنه لا يخاف ربًّا ولا يرجو حسابًا ، فالإلحاد يضاد مقصد الشرع في حفظ المال ، ففي حين يدعو الإسلام لجمع المال من حلال، وإنفاقه في حلال ، والحفاظ عليه من الفساد بشتى صوره ، نجد الإلحاد يدعو- أو يؤدي- إلى عكس ذلك.

مقصد حفظ الوطن:

مما لا شك فيه أن حب الوطن والحفاظ عليه فطرة إنسانية أكدها الشرع الحنيف[(١)]؛ حيث إن مصالح الأوطان من صميم مقاصد الأديان لا تنفك عنها [(٢)]، فقد نشأنا وتربينا وتعلمنا أن حماية الوطن لا تخرج عن أحد أمرين: إما أن تكون فرض عين، وإما أن تكون فرض كفاية.

فإذا كانت الأوطان آمنة مستقرة لا تتعرض لإرهاب ولا لعدوان ؛ كانت حماية الوطن فرض كفاية ، إذا قام بها بعض أبناء الوطن سقط الإثم عن الباقين ، ورفع الحرج عنهم.

أما في حالة تعرض الأوطان لأي مخاطر فإن حماية الوطن من هذه المخاطر تكون فرض عين، كل في حدود ما يكلف به، أو يستطيع فعله ، أو

---

(١) الكليات الست.. رؤية عصرية، أ.د/ محمد مختار جمعة، ص٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٢.

يتوجب عليه فعله، في ذود الخطر عنها[1].

و لا شك أن الإلحاد يشكل خطرًا داهمًا على الفرد والمجتمع والوطن والأمة العربية كلها ، فهو يتهدد النسيج الاجتماعي والفكري من جهة ، كما أنه يتهدد أمنها القومي من جهة أخرى، فتحت مسمى حرية المعتقد يهدف أعداء الأمة إلى تمزيق كيانها وضرب استقرارها بكل السبل والأساليب الشيطانية في جميع الجوانب قيمًا وأخلاقًا ، بالإرهاب المصنوع، والإلحاد الموجه أو الممول، وإثارة النعرات العرقية أو القبلية أو الطائفية، فصار الإلحاد موجهًا ومسيسًا ومموًلا، قصد الإسهام في إحداث حالات الفوضى والإرباك...

فقد صارت مخططات الأعداء تنال كل جوانب حياتنا ومقوماتها ، مما يتطلب التوعية بمخاطر كل الظواهر السلبية ؛ إذ إن هذه المخططات تهدف من خلال الإلحاد المسيس أو الموجه الممول إلى نزع القيم الإيجابية من نفس الملحد، وبما يفرغه من الرقابة الذاتية الأصيلة ، رقابة الضمير، ومراقبة خالق الكون والحياة[2].

إن الإلحاد صناعة أعداء هذه الأمة الذين فشلوا في زرع الفتنة بين نسيجها الوطنى شديد الصلابة والتماسك، فعملوا - ضمن ما عمدوا إليه

---

(١) بناء الوعي، أ.د/ محمد مختار جمعة ، ص٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص٣٦- ٣٨.

من وسائل متعددة – إلى محاولة جديدة لتدمير هذه الأمة ، وهدم بنيانها من أساسه، بزرع الحيرة والشك في أصحاب النفوس الضعيفة ، بإيهامهم أن انسلاخهم من عقائدهم الراسخة سيفتح أمامهم باب الحرية في الشهوات والملذات واسعًا، بلا وخز من ضمير، أو رقابة لأي سلطة إيمانية [1].

وقد قرر الفقهاء أن العدو إذا دخل بلدًا من بلاد المسلمين صار الجهاد ودفع العدو فرض عين على أهل هذا البلد رجالهم ونسائهم ، كبيرهم وصغيرهم ، قويهم وضعيفهم ، مسلحهم وأعزلهم ، كل وفق استطاعته ومكنته ، حتى لو فنوا جميعًا ، ولو لم يكن الدفاع عن الديار مقصدًا من أهم مقاصد الشرع لكان لهم أن يتركوا الأوطان وأن ينجوا بأنفسهم وبدينهم[2]، في حين أنه من أقوى أسباب الإلحاد حبُّ الشهوات والرغبة الجامحة في الانفلات أو ما يسمى بالحرية اللاأخلاقية، فهي تتناسب والإلحاد، فلا حلال ولا حرام في ظل مملكة الإلحاد ، ولا رقيب ولا حساب ولا جزاء ، ولا وجود بما يسمى باللسان المعاصر « تأنيب الضمير» أي النفس اللوامة التي تضرب المسلم بسياط الندم على اقتراف القبائح ؛ ولذا فإن كثيرًا ممن يميل إلى الإلحاد دافعهم الشهوة لا غير[3]، وهو ما يجعل

---

(١) بناء الوعى، أ.د/ محمد مختار جمعة ، ص٣٩-٤٠ .

(٢) الكليات الست، أ.د/ محمد مختار جمعة، ص٣٤.

(٣) الإلحاد وسائله وخطره، ص ١٩ .

الوطن مستباحًا مهددًا لا معنى له عند هؤلاء الملحدين، قد خلعوا عباءته إلا وفق ما تنزع إليه شهواتهم، فيضيعون ويضيعون من حولهم.

إن الإلحاد خطر على مقاصد الشريعة التي تُلخص وتُجمع في جلب المصالح للإنسان ودرء المفاسد عنه، فهو يدمر تلك المقاصد ويأتي للإنسان بأضدادها، وهذا الخطر الذي ينال الفرد في أمهات مصالحه سينعكس على الأسرة والمجتمع ؛ لأن الفرد نواة الأسـرة ، وهي خلية المجتمع.

وإذا كان الإلحاديون يدعون العقلانية والغائية ؛ فإن أعظم ما يُواجهون به في خطابنا الديني هو مقاصد الشريعة عامها وخاصها وجزئياتها جميعًا.

* * *

ثانيا : خطورة الإلحاد على الأسرة والمجتمع

لم تكن خطورة الإلحاد قاصرة على الفرد فقط؛ بل انسحبت على الأسر والمجتمعات ؛ لأن المجتمعات الملحدة محرومة من هداية الله تعالى التي أنزل بها كتبه وأرسل بها رسله ، المتضمنة للرحمة والعدل والحكمة.

وكما نعلم أن الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع ، فإذا فسدت فسدت الروابط الأسرية والاجتماعية معًا ؛ حيث إنه لا رادع في المجتمعات الملحدة، فلا ضمير يؤنب ، ولا رب يُخشى، ولا يوم آخر يتقى.

وهذه من الملامح في ظل الفكر المادي (الإلحادي) الذي لا يؤمن بالآخرة ، ولا بالجزاء ، والذي يقوم على النفعية المادية ، فهذا الفكر ينظر إلى خدمة الآخرين على أنها سخافة وغباء ما دامت لا تحقق نفعًا قريبًا.

ولم تقتصر الآثار السلبية للإلحاد على الفساد في الأسرة لأن آثاره أكبر من أن تحصى؛ لأنه يشمل الجانب غير المرئي في الإنسان والمجتمع البشري؛ لأنه يصادم الدين والأخلاق والشريعة بصورة مباشرة ويهدم أركانها، وأسسها وقواعدها [(١)].

ويعاني العالم المعاصر من مشكلات كثيرة ، فبالرغم من التقدم المادي

---

(١) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ/ علوى بن عبد القادر السقاف، الناشر: الدور السنية ١٥٣٣ هـ، ١/ ١٥٤-١٥٥، بتصرف .

الهائل، والخيرات العظيمة التي وفرها العلم لحياة الإنسان ورفاهيته ، إلا أن هناك مشكلات يتولد بعضها عن بعض ، ويؤثر بعضها في وجود بعض، ومن هذه المشكلات القلق النفسي ، والاضطراب ، وانتشار الجريمة ، وانعدام الأخلاق ، والفردية ، والأنانية ، والظلم بكل معانيه وصوره ، والفساد ، ولم يستطع تقدم الإنسان المادي أن يخفف من هذه المشكلات ؛ بل على العكس من ذلك كلما غالى الإنسان في المادية كلما ظهرت وانتشرت هذه المشكلات.

وبالرغم من كثرة المشكلات وتعددها فإن أعظم هذه المشكلات وأكبرها أثرًا في ظهور الفساد والاضطراب والقلق هي مشكلة الإلحاد ؛ حيث إن للإلحاد خطرًا عظيمًا في انحراف النفس عن الفطرة السليمة ، وعقيدة التوحيد النقية، فإذا انتكست فطرة الإنسان ، وخلع أثواب الإيمان، لم يكن له ساتر يقيه الشرور والفتن ، والإلحاد يصيب العقل بالضعف، وهذا الضعف يزداد بمؤثرات وعوامل تكلم عنها الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه الإسلام والعقل ، فقال: إن اختلاف العقول في الأفراد يتضاعف بالمؤثرات الخارجية: فالبيئة ، والوسط، والثقافة، والأصدقاء، والجو، والمصالح.. كل ذلك وغيره يؤثر – إلى ما شاء الله – في العقول، وفي النتاج الذي تنتجه ، ومع توالى الزمن تكثر المذاهب، وتتعدد الفرق»[1].

---

(١) الإسلام والعقل، د/ عبد الحليم محمود، ص٦٥ وما بعدها.

والواقع يشهد أن الملاحدة ناشطون في نشر باطلهم ، لا سيما في محيط أبناء المسلمين ؛ لأنه إذا كثر الملاحدة وعلا صوتهم ؛ أصبحوا قوة مؤثرة في المجتمع، تستطيع أن تؤثر في الواقع بحسب أهوائها ، وغالب الملاحدة من ذوى الإلحاد النفعي المادي ؛ فلا يرومون إلا الشهوات[1] .

وسائل نشر الأفكار الإلحادية:

للإلحاد عادة مسلكان: مسلك الشبهات ، ومسلك الشهوات ؛ حيث يفتح المرء لنفسه أبواب الفتن والشبهات ، ويطلق لفكره العنان ليسبح في سيء التصورات والخيالات ، فيتشرب الشبهات واحدة تلو الأخرى ، ويشكك في شرائع الله وأحكامه ، بل في ذاته وصفاته ؛ ليخلع ربقة التوحيد من عنقه، وينكر ربًّا أوجده من عدم ، وشَرَع له ما يصلحه في حاله ومآله ، أو ينغمس في بحار الملذات والشهوات ، فيلج أبوابها ، ويستهين بحرماتها، حتى إذا صار في عمق عميق ، ضاقت به نفسه ، وضاقت به الأرض بما رحبت، فاعترض على حرمات الله ، وظن بعد ما عميت بصيرته أن الدين قيد ثقيل وأن الخالق لا وجود له.

إن تبني المعتقدات الفاسدة خطر عظيم ، ومآل في الآخرة أليم؛ ذلك أن نشرها في أوساط المجتمع المسلم شر مستطير؛ إذ الملحد بذاته مسئول عن

(١) الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته ، د/ صالح بن عبد العزيز سندي ، ص٤٥ .

نفسه وما يعتقده، والله محاسبه على ما انتهجه واقترفه، أما إذا عمد إلى بث التشكيكات العقدية، ونشر الأفكار الإلحادية فهذا أمر يضر بالجميع، فالعقيدة مدار السلوك، والإيمان منبع الأعمال، فإذا تخلخلت عقائد المجتمع، واهتزت ثوابتهم؛ ضاعت سلوكياتهم، فكان ضياع الهوية وغياب الضمائر وذهاب المقدسات، وانتشار الجريمة، واختلال الأمن، وضياع الشعائر والعبادات، وتدهور العلاقات، وكلها مصائب وآثام يحملها من يعمد إلى نشر فكره العقيم وإلحاده السقيم، من غير أن ينقص من آثام تابعيه شيئًا، ومن هنا كان على المجتمع أن يقف وقفة حازمة ضد كل من يحاول نشر شبهة دينية تخلخل الفكر الإسلامي النقي، أو تشكك في الذات الإلهية والتعاليم القرآنية[1]، ولا يخفى ما يشهده العالم من ثورة في المعلومات وطفرة إلكترونية هائلة، حتى أصبح إيصال الأفكار والوصول إليها ميسرًا، ففكرة خير أو شر يَرْمِي بها صاحبها في وسائل التواصل الاجتماعي، تصل إلى عالم كبير من الناس.

أما عن الوسائل التي ينفذ الملاحدة من خلالها إلى شباب المسلمين – ذكورًا وإناثًا – فكثيرة ، منها: الكتب الإلحادية – التي تباع أو التي تنشر عن

---

(١) الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده ظهوره علاجه، محمد الخضر حسين، تحقيق: محمد إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م. ص٢٠ بتصرف .

طريق الإنترنت – ولا يلزم أن تكون داعية إلى الإلحاد بصورة مباشرة؛ فيمكن أن تكون صريحة، ويمكن أن تطرح ما يسمى بثقافة الشك، أو تأصيلات تؤدي إلى إضعاف الثقة بالنصوص، أو تبغيض الدين في نفس القارئ ، وتصويره في صورة القيود والأغلال؛ وبهذا يلقى الملاحدة فريستهم إلى ساحل الإلحاد ، إنهم يصلون إلى بغيتهم عن طريق حلقات لا حلقة واحدة .

ومنها كذلك: القنوات الفضائية ؛ من خلال عرض مفاهيم إلحادية واضحة أو مبطنة ، عن طريق برامج أو حوارات أو مناظرات أو أفلام – للكبار أو الصغار – وما إلى ذلك.

بل يمكن أن يكون ذلك من خلال: البرامج العلمية الوثائقية التي تؤصل للنظريات الداعمة للإلحاد ، كنظرية داروين مثلًا.

ومنها أيضًا: اللقاءات المباشرة مع الشباب ؛ عن طريق جلسات خاصة، أو ملتقيات عامة ، أو "صالونات" ثقافية ، تطرح فيها الأفكار والشبهات.

وتبقى وسيلتان هما الأخطر في غزو عقول الشباب والناشئة:

الأولى: **الشبكة العالمية** «**الإنترنت**»:

فقد أصبحت فضاءً واسعًا يستحيل متابعته ومراقبته ، وتوظيفها في نشر الإلحاد له وسائل كثيرة ، منها:

١ـ شبكات التواصل الاجتماعي: والواقع يؤكد أنها اليوم موجه ثقافي بالغ التأثير؛ فمن الناس من يجلس ساعات طوال أمامها يوميًّا؛ فهي جاذبة إلى حد بعيد.

والملاحدة ينفذون من خلال هذا المنفذ بتخطيط ونشاط وتركيز، مع انتهاج الأسلوب الصريح تارة، والرمزي تارة أخرى، فينقلون نظرياتهم السقيمة مغلفة بزخرف القول، أو يمجدون أساطين الإلحاد ونتاجهم الفكرى، أو يبثون شبهًا عابرة ماكرة، أو يضعفون الثقة بأهل العلم، أو يؤصلون الجُمل والمفاهيم الممهدة لفكرهم؛ نحو: التذمر من الوصاية على العقول، ومن هيمنة السواتر الحديدية عليها، والدعوة إلى الانفتاح والانطلاق غير المقيد بقيود، ونحو هذه التأصيلات القادحة في الإسلام، المزينة للانسلاخ منه.

٢ـ مواقع تبادل ونشر المقاطع المرئية – وأشهرها «يوتيوب» – ولعل مرتاديها أكثر المستخدمين للشبكة.

فإن الملاحدة يبثون المقاطع التي تؤصل للإلحاد أو تقرب منه، ومن مكرهم أنهم يجعلون لها عناوين أو كلمات دلالية مشتهرة يكثر بحث الشباب عنها، نحو: «مباراة»، «أهداف»، أو أسماء ممثلين وفنانين ولاعبين وأفلام ومسلسلات؛ لعلمهم أنهم يتتبعون هذا النوع من المقاطع، فإذا

لاحت أمامهم تلك المرئيات المسمومة دفعهم حب الاستطلاع إلى مشاهدتها؛ فتعتل بها قلوبهم[1].

هذا وقد أسهم التطور التكنولوجى للاتصال عبر «الإنترنت» في تعميق مبدأ الفردية ، ودعم مبدأ التشتت للأفراد الذين يعيشون معًا ويكونون أسـرة ، وقد حدث بالتبعية تغيرات في شبكات العلاقات الاجتماعية ، حيث يقوم كل مستخدم من خلال «الإنترنت» بعمل شبكات خاصة به ، بهدف الحصول على المعلومات، أو تحقيق رغبته في الشعور بالدعم والانتماء ، أو تكوين شبكة جديدة من العلاقات الاجتماعية.

ويبدو ذلك بوضوح في التجمعات الافتراضية ، والتي تتكون من خلال غرف الدردشة ، والمجموعات الإخبارية ، والمنتديات عبر «الإنترنت»، مما نتج عنه عملية إحلال بدرجة ملحوظة للعلاقات الأسرية بعلاقات أخرى، يعاب عليها الفردية ، ويقل بها الطابع الاجتماعي الذي كانت تتسم به العلاقات بين الأفراد داخل الأسرة الواحدة [2].

٣ـ المنتديات العامة ، فالملاحدة يمدون شباكهم إليها – لاسيما

---

(١) انظر: الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته ، إعداد: د/ صالح بن عبد العزيز سندي ، ص٤٥ وما بعدها.

(٢) الاستخدام السلبي لشبكة الإنترنت وأثره في التفكك الأسري ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب – إعداد: نعمة محمد السيد عناني، ص٦٤.

المنتديات ذات الحضور الكبير، فيضربون عصفورين بحجر – كما يقال –: بث الشبه ، واقتناص فريستهم من خلال «التفرس»، ثم «التأنيس»، ثم «التشكيك»، ثم «التأسيس».

فإذا وجدوا في المشاركين – من الذكور أو الإناث – من يتوسمون فيه سهولة الانقياد لهم ؛ كأن يروا فيه ميلًا إلى التحرر والانفتاح ، أو نفورًا من العادات ، فإنهم يحرصون على أن يعلقوا بعبارات المدح على أي مشاركة له، من ثم تمد بينه وبينهم جسور العلاقة ، ثم تتطور شيئًا فشيئًا؛ فمن التواصل عبر البريد الخاص ، إلى المحادثة المباشرة «الشات»، ثم إلى إدخاله في مجموعة بريدية فتصله المقالات والكتب، ووصلات المواقع والمدونات – التي لا يلزم أن تكون صريحة المحتوى في ابتداء الأمر–، وهكذا يتطور الأمر حتى يصبح صيدًا سهلًا في أيديهم ؛ فيسقطونه في المستنقع الآسن.

٤ـ المدونات والمواقع الإلحادية ، وهي السم الزعاف ، وهو الذي يريدون أن يوصلوا الشباب إليه.

وبإطلالة سريعة على هذه المدونات والمواقع نرى أن من ولج دهاليزها من ضعيفي التأصيل الشرعي من الشباب أو الفتيات ، وتعرض لما هو مبثوث فيها من شبه فلن يخرج كما دخل ؛ لأن الملاحدة لديهم أساليب متفننة ، وشبه وتلبيسات تنشب أظفارها في قلوب الأغرار؛ بالإقناع العاطفي ، والمغالطة

العقلية ، وإثارة الشبه الدقيقة ، وقلب الحقائق ، والاستهزاء، والقصص، والأشعار..إلخ.

الثانية : **الروايات المنحرفة** :

والمقصود بها : الروايات المنحرفة عقديًّا، فهي معول هدم للعقيدة ، وذلك أن الروايات قصص، والنفوس مجبولة على حب القصص، لاسيما وأن كثيرًا منها يضرب على وتر العاطفة أو العشق أو إثارة الغرائز، وهذا النوع مما يميل إليه كثير من الفتيات والشباب، الذين لا يخفى تهافتهم الكبير على اقتناء الروايات[1].

آثار الإلحاد وعاقبته:

لنتخيل أمة مؤلفة من الملاحدة ، أو كانت الأغلبية فيها للملاحدة، وننظر كيف تكون سيرتها، وماذا تكون عاقبتها في هذه الحياة ، لا شك أنها تسير في غير طريق، وتكون عاقبتها السقوط إلى الحضيض؛ إذ إن الملاحدة يبيحون موبقة الزنا وما يضاهيها من الفواحش، ويبيحون الخمور، ولا يتحرجون أن يضموا إليهم أموال غيرهم بغير حق؛ نعم للأخلاق أثر في تقليل الشيء ولكنها لا تأتي بأثر عظيم في انتظام حال المجتمع إلا حينما تسير تحت مراقبة عقيدة دينية ثابتة[2].

---

(١) الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته ، إعداد: د/ صالح بن عبد العزيز سندي، ص٤٦-٤٧ .

(٢) المرجع السابق، ص٤٨.

هذا وقد ترك الإلحاد المعاصر آثاره الواضحة في سلوك الإنسان وفي أخلاق الأمم ؛ لأنه إذا مات الإله ، فكل شيء مباح ، وإذا كانت «عقيدة الإلحاد» هي إنكار الغيب كله ، وعلى رأسه الإله... فما «شريعة الإلحاد»؟ تتلخص هذه الشريعة في مقولة «ديستوفسكى» في رائعته «الأخوة كرامازوف»: إذا مات الإله ، فكل شيء مباح[1].

وقد ظهرت للإلحاد آثار كثيرة على الأسرة والمجتمع، منها:

الصراع النفسي:

إن المجتمع في ظل الإلحاد أصبح شبيهًا بمجتمع الغابة الذي يحاول كل حيوان فيه أن يفترس الآخر، وبهذا يلجأ الضعيف إلى التخفي والخداع، ويلجأ القوى إلى البطش والقسوة والعنف ، ويصبح الاستغلال والظلم والنفاق خلقًا ودينًا ومنهجًا جديدًا تسير عليه المجتمعات المنحلة البعيدة عن منهج الله (عز وجل).

البؤس واللامبالاة:

لقد أدى الغلو في النسبية إلى أن يصبح الكثير من المفاهيم الإنسانية الفطرية الأساسية ، مثل الإحساس بالسعادة أو البؤس ، محل تساؤل بسبب اختفاء المعايير وفقدان المقدرة على الحكم[2].

---

(١) علم نفس الإلحاد، د/ عمرو شريف، تقديم أحمد عكاشة ، فرست بوك للنشر ، مصر، ص٢٢٤.

(٢) المرجع السابق ، ص٢٢٩ وما بعدها.

وهذا الشخص الذي فقد المبادئ والقيم العامة لا يستطيع أن يبني حضارة أو يحافظ عليها، وأظهر دليل على ذلك هو تعامُل «ستالين» مع الدين وقت الحرب العالمية الثانية؛ حيث أيقن أن الدين هو الذي سيدفع المجتمع الروسي إلى الدفاع عن وطنه وأمته، فأعاد للدين احترامه وتقديره، والغريب أن الإحصائيات أظهرت أن أكثر من ٧٠ ٪ من المجتمع الروسي في هذا الوقت كان يحافظ على إيمانه في الخفاء؛ لأن الإلحاد لم يستطع أن يشبع حاجاته الروحية ولا المادية.

الإباحية والشذوذ:

النموذج المادي الملحد يفرز السعار الجنسي، إلى درجة انتشار حوادث الاغتصاب بالرغم من أن مجال الإشباع الجنسى متاح أمامهم[١].

كما أن فوضى العلاقات الجنسية ظهرت آثارها في: قلة الزواج، وظهور الأمراض المعدية[٢]، ولعل هذا البحث عن اللذة الجنسية الخالصة هو الذي يفسر انتشار الشذوذ الجنسي في المجتمعات الملحدة[٣].

ويمكن تلخيص الثورة الجنسية بأن الرغبات الجنسية قد انفلتت من

---

(١) علم نفس الإلحاد، د/ عمرو شريف، ص٢٣٨.

(٢) الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق بامبا صالح، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية ص٢٠٢.

(٣) علم نفس الإلحاد، د/ عمرو شريف، ص٢٤٠.

عقالها، وبدلًا من أن تحرر الإنسان حيَّدتْه ثم استعْبَدته، فانتشرت الإباحية وتم «تطبيعها». فكأن الهدف من الإباحية لم يكن إرضاء الشهوات وإنما اختزال الإنسان إلى جسد، فالتعرية تبدأ بالجسد وتنتهي بتعرية الإنسان من تركيبته وإنسانيته. لكل هذا يُنظَر للجنس بطريقة محايدة للغاية وكأنه نشاط بيولوجي منفصل عن القيمة ؛ لذلك يُشار الآن إلى البغاء في بعض المجتمعات الملحدة بحُسبانه نشاطًا اقتصاديًّا محايدًا، مجرد عمل عضلي لا يختلف عن غيره من الأعمال ، ولذا تسمى البغى الآن في بعض الأوساط «عاملة جنس»[1].

كل هذا يفصل الجنس عن مضمونه الاجتماعي والإنسان المركب؛ ليصبح ترجمة عملية لمبدأ السعادة واللذة ، إن هذا الإنسان ينعزل عن تراثه وماضيه، وعن وجوده الإنساني، فيعيش في الجسد يبحث عن المتعة المباشرة التي لا علاقة لها بالخير أو بالشر.

ومن ضمن الشذوذ الزواج المثلي:

فلا شك أن العلاقة الجنسية المثلية والزواج المثلى قد أصبحا من الطقوس التي لا ينبغى الاعتراض عليها في المجتمع المادي والفكر الإلحادي، ويعتبر أنصار هذا التوجه أن الأمر حرية شخصية ويساوونه

---

(1) علم نفس الإلحاد ، ص٢٤٢.

بالعلاقة بين الرجل والمرأة.

وقد أظهرت الإحصائيات أن نسبة من يقدمون على الانتحار بين المثليين تبلغ نسبتها أربعة عشر ضعفًا مقارنة بالطبيعيين ، كما أظهرت الدراسات أن هؤلاء أكثر استخدامًا للمخدرات ، وأكثر عرضة للمشكلات النفسية والسلوكية [١].

التفكك الأسرى:

كانت معظم المجتمعات الإنسانية في الماضى تحاول «إدخال الطمأنينة» على قلب الإنسان ، بحيث يحتفظ بتوازنه مع نفسه ومع الطبيعة[٢]، والمجتمعات البشرية لا تقوم بغير روابط تؤلف بين أفرادها ومكوناتها في سبيل الحفاظ على مصالحهم وضمان بقائهم.

وما من شك في أن التدين عامل إيجابى في الألفة والانسجام والتآزر والتساند، فهو إيمان بمثل وقيم في الحياة ، ليس من بينها المال والجاه وعرض الدنيا، بل في مقدمتها الإنسانية في المعاملة والتهذيب في السلوك وتقدير الإنسان لذاته [٣].

وفي حين يعزز الدين العلاقة بين الزوجين ، باعتبار علاقة الزوجية

---

(١) علم نفس الإلحاد ، د/ عمرو شريف ، ص٢٤٥.

(٢) المرجع السابق ، ص٢٢٧.

(٣) الإسلام في حياة المسلم ، محمد البهي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص٢٣٦.

علاقة مقدسة ، ويعزز الأواصر الأسرية بين الآباء والأبناء ، ويحث على صلة الرحم وعلى حق الجار ، ورحمة الناس والتودد لهم ، في إطار يعيد البشرية جمعاء إلى أصل واحد ومنشأ واحد وخالق واحد ، يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾[2]، نجد أن أعز ما دمره الإلحاد في البشـرية الأسرة ، حيث أدى إلى إشاعة الفواحش وإطلاق الغرائز الجنسية خارج إطار الزوجين، فنشأ عن ذلك ضياع الأنساب ، فلا يحصل المولود على رعاية ولا على أسرة ينتمي إليها لتحميه.

وبذلك نشأ جيل لا يعرف من العلاقات التي تحكم تصرفه في الحياة غير علاقات المنافع المادية والمصالح الشخصية، فنظرته للارتباطات الزوجية نظرة للقيود، فلا يوجد شعور بأهمية الأسرة والأبناء ، حيث إن هذا التفكك الأسرى ينتج (الفرد المتجاوز) الذي يفكر بتحقيق احتياجاته على حساب حاجات وحقوق الآخرين.

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة محمد: ٢٢-٢٣.

هذا إلى جانب أن الإنسان الملحد هو إنسان فرد مكتف بذاته ، لا يطيق أية حدود أو قيود أو مسئولية، فهو يود تحقيق رغباته في التو (الآن وهنا)، خاصة وأن المجتمع الإلحادي هو مجتمع نفعي مادي ، لا يعرف المثاليات التي تساعده على تجاوز ذاته الضيقة. إن مثل هذا الفرد لا يمكنه أن يقبل مؤسسة الأسرة تمامًا ، ولهذا يزداد العزوف عن الإنجاب والزواج، مع ازدياد الإحساس بأن الأسرة عبء لا يُطاق وأن مسئولية تنشئة الأطفال تفوق طاقة البشر [١].

الجريمة:

لم تكن الجريمة في المجتمعات الملحدة في معظمها بدافع الحاجة والفقر، بل بدافع الغريزة الإجرامية التي أطلقتها دعاوى الحرية والرؤى المادية، والسباق المحموم على متع الحياة وشهواتها [٢]، والتي تهدد النظام العالمي في كيانه بإشاعة الفوضى والإباحية بين شعوبه ، وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه ، وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخُلق القويم [٣].

---

(١) علم نفس الإلحاد ، د/ عمرو شريف ، ص٢٤٠.

(٢) حالات فوضى الآثار الاجتماعية للعولمة ، معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٧م.

(٣) الخطر اليهودى .. بروتوكلات حكماء صهيون، محمد خليفة التنوسي ، تقديم: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، ص١٠-١٥.

سبل مواجهة الإلحاد

توطئة في فقه مقاصد الشريعة ودوره في مواجهة ظاهرة الإلحاد:

من الدلالات العظيمة في القرآن الكريم أن يتنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ (١) عشية يوم عرفة في يوم جمعة، وذلك حتى يحمل الآلاف من البشر هذا الخير العظيم، الذي عبر عنه يهودى - أنطق الله لسانه بالحق- حين قال: لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا(٢).

ولا شك أن الإسلام منهج حياة ، بشرعه وفقهه ومقاصده وقواعده ، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾(٣)، ولقول الصديق أبي بكر ﷺ: «لو ضاع لى عقال لوجدته في كتاب الله» ، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

فلم أر غير حكم الله حكمًا ... ولم أر غير باب الله بابا(٤)

هذا ، ويعود الجذر اللغوي لمعنى الفقه إلى مطلق الفهم ، فيقال:

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، ١/ ٢٥، برقم ٤٥، ومسلم في صحيحه ، كتاب التفسير ٤/ ٢٣١٢، برقم ٣٠١٧.

(٣) سورة الأنعام: ٣٨.

(٤) الشوقيات، أحمد شوقي، قصيدة: «سلوا قلبى»١/ ٩٥ مؤسسة هنداوي ، القاهرة.

فَقِه: علم وفهم، فإذا ما أصبح علم الفقه له سجية: يقال: فقُه بالضم[1]، أما عن معناه في الاصطلاح، فقد كان في صدر الإسلام يرادف لفظى الشـــريعة والدين؛ أي: يشمل الأحكام التي تتعلق بالعقيدة أو الأخـلاق أو العبـادات أو المعاملات، وشاع هذا الترادف ردحًا مـن الـزمن حتـى جـاء الإمـام أبـو حنيفة فأطلق على علم التوحيد: الفقه الأكبر.

ثم طرأ على مدلول الفقه تطور آخر قصره على العلم بالأحكام الشرعية العملية، وصار يطلق على العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية بالاستدلال ، والمراد بأدلتها التفصيلية : الأدلة المنفصلة التي يدل كل واحد منها على حكم معين ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[3]، فالأول أمر يدل على الوجوب ، والثاني نهي يدل على التحريم ، ومقاصد الشريعة الإسلامية – أي: الغاية منها – تتلخص في تحقيق مصالح العباد ودفع الضرر عنهم في الدنيا والآخرة ، وبهذا تتحقق لهم السعادة الحقة في حياتهم الدنيوية

(١) المعجم الوسيط ٢/٦٩٨ مادة (فقه)، وهذا نص الفيومي في المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص٤٧٩.

(٢) سورة البقرة: ١١٠.

(٣) سورة الإسراء: ٣٢.

والأخروية ؛ ولذا كانت دعوة الإسلام رحمة للعالمين ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [1].

إن الشـــريعة الإســلامية – كسـائر الشـــرائع السـماوية – اسـتهدفت المحافظة عـلى أمـور: عرفـت عنـد الأصـوليين بالكليـات ، وهـي: الـدين والنفس والعقل والنسل والمال والوطن[2]؛ وإذا كان من كليـات الشـــريعة ومقاصدها السامية الحفاظ على العقل ، وهذا المقصد لا يتأتى إلا من خـلال حفظ هذا العقل من كل الضلالات التي قد تكون سببًا في ضـياعه وهلاكـه وبعده عن الفطرة السليمة التي جبل عليها ؛ فنحن في حاجة إلى فقه صحيح لمقاصد الدين ؛ ليكون عونًا لنا في إيجاد حلول عملية لهذه الظاهرة الخطيرة.

ومن الملاحظ أن الظواهر الاجتماعية تختلف عن الظواهر المادية ، ففي حين تنتج الظواهر المادية عن سبب محدد إذا وجد لا يمكن أن تتخلف عنه الظاهرة، إلا أن الظواهر الاجتماعية تكون أكثر تعقيدًا وتشابكًا من ذلك، فهي في العادة لا تنتج عن سبب واحد ؛ بل عن تضافر عدة عوامل، وقد تختلف هذه العوامل باختلاف الحالات والمجتمعات ، فالأسباب التي تؤدى إلى حدوث الظاهرة في مجتمع ما قد تختلف عنها في مجتمع آخر، وإذا

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) انظر: الكليات الست، أ.د/ محمد مختار جمعة ، ص٦.

اتحدت الأسباب فقد يختلف التقدير الكمي للأسباب من مجتمع لآخر، ومن حالة لأخرى ، وهذا ما ينطبق على الإلحاد.

وعلى هذا فإذا تم تحديد سبب من أسباب الإلحاد فلا يعني ذلك أنه بانفراده يؤدي للإلحاد ، فقد يحدث السبب منفردًا ولا تظهر الظاهرة ، بل لابد من تضافر عوامل مجتمعة كما سبق ، وقد يتم معالجة الأسباب الاجتماعية المهيئة لظهور الإلحاد في مجتمع ما ، إلا أن ذلك لا يمنع من ظهور حالات نشأت لأسباب خاصة بهم ؛ لأن مثل هذه الظاهرة تتداخل فيها العوامل الفكرية والنفسية والاجتماعية.

ولذلك فإن سبل مواجهة الإلحاد لا بد أن تسير في طريقين متوازيين:

الأول: الطرق الوقائية ، والتي تعالج الأسباب التي تهيئ المجتمع لظهور الإلحاد ، وذلك عن طريق الاهتمام بأسس التنشئة ، ومعالجة الضعف المعرفي ، والتأسيس للوعي الديني الصحيح من خلال المناهج التربوية والتعليمية ، وتحقيق العدالة الاجتماعية .

الثاني: الطرق العلاجية ، وهي التي تكون عن طريق تفعيل دور وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية والثقافية ، ودور الجمعيات الأهلية والمؤسسات الخيرية والنقابات المهنية وجمعيات حقوق الإنسان والرد على شبهات الملحدين ، في الجانبين العلمى والفلسفي.

□

الطرق الوقائية لمواجهة الإلحاد

إن إقامة المجتمع على أسس سليمة ومنضبطة - يراعى فيها أسس التنشئة السليمة للأطفال ، وبناء كيان معرفي يراعي المتغيرات العالمية ، ويحافظ على كيان المجتمع وثوابته ، مع مراعاة قيمة الفرد في هذا المجتمع ، وتحقيق العدالة والتكافل بين أفراده ، - يجعل المجتمع مستقيمًا على الجادة، عصيًّا على الانحراف ، محصنًا ضد أساليب الغزو الفكري ، لذلك فإن من أهم السبل للوقاية من الإلحاد ما يلي:

أولا: دور التنشئة السوية في مواجهة الإلحاد :

إن التنشئة الاجتماعية هي المسئولة عن زرع الولاء والانتماء في نفوس النشء ، وتعليم الأطفال وتدريبهم على أداء الواجبات ، ودمجهم في مجتمعهم، فالتنشئة الاجتماعية هي «عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عمومًا طفلًا أو راشدًا عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية ، ويتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية والاتجاهات النفسية ، ويتعلم كيف يتصرف ويسلك بأسلوب اجتماعي توافق عليه وترتضيه الجماعة والمجتمع»[1].

---

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته ، د/ زكريا الشربيني ، د/ يسرية صادق،

وعملية التنشئة وإن كان محورها الأساس هو تنشئة الأطفال لدمجهم في مجتمعهم ، إلا أن التنشئة الاجتماعية ليست خاصة بمرحلة معينة ؛ بل قد يحتاج إليها أفراد المجتمع في مراحله المختلفة ، لأن الفرد في هذه المراحل ينتمي إلى جماعات مختلفة ، ويقوم بأدوار جديدة يحتاج فيها إلى تعديل سلوكياته ، واكتساب أنماط جديدة في التعامل[1] .

وعلى المجتمع أن تتضافر جهوده لإتمام عملية التنشئة بصورة صحيحة ، فإن عملية التنشئة هي من أهم عوامل بقاء المجتمع واستمراره.

وهناك أهداف عامة لعملية التنشئة ، منها ما يلي:

أ- إعلاء رابطة الحب بين الطفل والأم ، وإقامة التزامات حول إمكانيات الانجذاب نحو الغير .

ب- إكساب الأطفال نظم المجتمع الذي يعيشون فيه ، منتقلين من التدريب على العادات الخاصة بهذا المجتمع إلى الاقتناع والامتثال لثقافة هذا المجتمع .

جـ- تلقين الأطفال مستوى الطموح اللازم للعيش وسط هذه الثقافة.

دار الفكر العربي ، ص١٨ .

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته ، ص ١٩ .

د- تعليم الأطفال الأدوار الاجتماعية.

هـ- إكساب الأطفال المهارات المطلوبة للتوافق مع أفراد المجتمع ، وحصولهم على الأدوات التي تساعدهم على الاندماج مع الجماعات مثل اللغة.

و- غرس القيم وأهداف الجماعة التي ينتمي إليها الطفل، والتي تشكل ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه؛ لتحقيق توقعات الأدوار التي سوف يواجهها يومًا ما، مثل إعداد الطفل لأداء دور الأخ والابن والزميل والأب.

ز- إكساب المرء نسقًا من المعايير الأخلاقية التي تنظم العلاقات بين الفرد وأعضاء الجماعة، وتمثل هذه المعايير السلطة الخارجية على الفرد[١].

أما ما يخص دور التنشئة في مواجهة الإلحاد والأفكار الهدامة فإن حل هذه المشكلة يبدأ من التنشئة الاجتماعية باعتبارها من أهم العمليات تأثيرًا على الأبناء في مختلف مراحلهم العمرية ؛ لما لها من دور أساسى في تشكيل شخصياتهم وتكاملها ، وهي تعد إحدى عمليات التعلم التي عن طريقها يكتسب الأبناء العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم السائدة في بيئتهم الاجتماعية التي يعيشون فيها، وعملية التنشئة الاجتماعية تتم من خلال

---

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، ص ٥٧.

وسائط متعددة وهي: الأسرة ، والمؤسسات التعليمية بداية من دور الحضانة ورياض الأطفال حتى الجامعات ، ثم النوادي ، والجمعيات ، والساحات الشعبية، ودور العبادة، ومراكز الثقافة، ووسائل الإعلام[1].

وعلى مؤسسات التنشئة الاجتماعية الاهتمام بما يلي:

١- غرس العقيدة الصحيحة في النفوس بكل وسيلة، كالدروس، والمحاضرات والخطب، والبرامج، والمناهج، وغير ذلك.

٢- تعزيز ثقة الشباب بذاته وحضارته وقيمه في مواجهة الآخرين ، والسبيل إلى ذلك بإعطاء نماذج تاريخية وعصرية لدول مسلمة استطاعت أن تسهم في الحضارة العالمية.

٣- تقوية الشعور بالاعتزاز بالإيمان واليقين، وما يقدمه من طمأنينة للفرد والمجتمع.

٤- التوعية بمدى خطورة الإلحاد على الأفراد ؛ حيث إنه لا يمكن النظر لأفراد المجتمع بل البشرية جمعاء نظرة مساواة ، إلا إذا اعتقد بوجود حقيقة للإنسان وراء المادة، وهي الروح ، يستوى فيها البشر جميعًا، ولا يمكن لمذهب لا يؤمن إلا بالمادة أن ينظر للإنسان تلك النظرة.

٥- التوعية بمدى خطورة الإلحاد على المجتمع، وما يؤدي إليه من

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، ص ٨٩ .

آثار، كارتفاع نسب الجريمة، وانتشار الفوضى.

٦- التوعية بمدى خطورة الإلحاد ، وأنه لا يقيم حضارة ، وذلك بالاعتماد على التاريخ في إثبات أنه لم توجد حضارة امتد عمرها لقرون إلا وكانت قائمة على الإيمان.

٧- أن يكون هناك جهود ثقافية تملأ الفراغ الثقافي لدى الشباب، وتعرفهم بأعلام الثقافة في مجتمعاتنا، ومنجزاتهم ، ويكون ذلك تحصينًا لهم إذا انفتحوا على ثقافات أخرى بما فيها من صالح وطالح.

٨- أن يعمل المجتمع على بناء منظومته القيمية الخاصة والحفاظ عليها، عن طريق تنشئة أفراده عليها وتوريثها جيلًا بعد جيل ، على أن تكون هذه المنظومة متكاملة متوازنة الأركان ، تشكل حائط صد ضد التيارات المنحرفة .

الأسرة ودورها في التنشئة:

إن أهم مرحلة في التنشئة هي مرحلة الطفولة، فإذا أهمل الطفل في بدء حياته، خرج في الأغلب عن السائد والمعروف في الجماعة، فاسد الأخلاق، مرتكبًا للأفعال الذميمة، منحرفًا وجانحًا عن السواء.

ولذا يقع الدور الرئيس في هذه المرحلة على عاتق الأسرة؛ حيث يعد دور الأسرة أهم وسائط التنشئة، فالأبناء يتلقون عنها مختلف المهارات والمعارف الأولية، كما أنها تعد بمثابة الرقيب على وسائط التنشئة الأخرى، ويبرز

دورها في توجيه وإرشاد الأبناء ، مما ينعكس على شخصية الأبناء وسلوكهم، سواء بالإيجاب أو السلب ؛ لذا فإن الترابط الأسرى وقدرة الأسر على التوجيه السليم لأبنائها، وعدم تركهم فريسة سهلة لأصحاب الأفكار والمعتقدات الضالة أو الشاذة، وتقديم القدوة الحسنة لهم، من أهم طرق الوقاية من الإلحاد.

إن عملية التنشئة الاجتماعية هي أكبر التحديات التي تواجه الأسرة، ويؤدي الفشل فيها إلى أن يعيش الأفراد حياة تعسة فيها شقاء مستمر، إنهم يفتقدون القدرة على التكيف، ويعانون سوء التوافق، ويضعون عراقيل في طريق غيرهم، وربما نتج الدمار في بعض الأحيان مثلما يحدث لبعض المجتمعات؛ بل إن الحروب كما يشير البعض ما هي إلا نتيجة الفشل الذريع في عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمعات.

وبسبب الإخفاق في تنشئة بعض الأفراد نجدهم ينحرفون إلى إدمان الكحول أو إدمان المخدرات، وربما سقطوا في التطرف أو الجنسية المثلية أو اندرجوا تحت وطأة المرض النفسى[(١)]، أو الإلحاد، وهناك مجتمعات رغم تقدمها العلمي والتكنولوجي إلا أن انتشار الأمراض الاجتماعية بين أبنائها يمثل نسبة عالية؛ لوجود خلل في التنشئة الاجتماعية لديهم.

---

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، ص ٦٣، بتصرف.

ثانيًا: معالجة الضعف المعرفي:

للمؤسسات التعليمية دور مهم في مواجهة هذه الظاهرة ، فيعتبر الهدف من إنشاء المدارس والجامعات هو بناء شخصية سوية جادة مستقيمة، تسير على ما ارتضاه المجتمع من دين وعادات وتقاليد وأعراف لا تخالف الشرع ، وترمي إلى الذود عن البلد ومكتسباته، وحماية عقول ناشئته من خلال التعليم النافع[1].

ولا شك أن المؤسسات التعليمية – من مدارس ومعاهد وجامعات – تمثل حجر الزاوية في مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة، ظاهرة الإلحاد؛ حيث إنها تشكل فكر الإنسان منذ نعومة أظفاره ، فالطفل يلتحق بالتعليم وعمره لا يتجاوز الرابعة ، وقديمًا قالوا : التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ثم يعرج بعد مرحلة رياض الأطفال إلى المراحل التعليمية المختلفة، ويمكن للمؤسسات التعليمية أن تواجه هذه الظاهرة من خلال ما يأتي:

١- إعداد مناهج تعليمية تحصن فكر الطلاب:

إن المنهج أو المحتوى الذي يقدم للطلاب في مراحل تعليمهم المختلفة، لابد وأن يراعى القائمون على إعداده من احتوائه على ما يشكل

---

(١) انظر: خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد ، أحمد خالد الطحان، بحث على موقع الألوكة، الإنترنت، ص ٥٥.

فكر الطلاب من الناحية الثقافية ، فيعمل المنهج على بناء العقول بناءً صحيحًا ، كما يعمل على حفظ عقيدتهم ، وفطرتهم ، وأخلاقهم.

ويضاف لذلك أن تكون هناك مادة مقررة على طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية تحوى أنشطة تقف في وجه موجة الإلحاد الجديدة ، وأن يعد هذا المقرر علماء متخصصون أكفاء يستطيعون الإجابة على الأسئلة التي شغلت الإنسانية وحارت فيها زمنًا طويلًا.

٢ - إعداد معلم قادر على التفكير وفق المستجدات:

إذا كان العلم وحده هو الذي يبني شخصية الإنسان بناءً سويًّا مستقيمًا، لأنه هو الذي يحارب الأفكار الضالة والمنحرفة ، فإنه ينبغي على المؤسسات التعليمية أن تعد معلمًا واعيًا قادرًا مسلحًا بشتى أنواع المعرفة، يستطيع نقل المحتوى الذي بين يديه إلى طلابه بكل صدق وأمانة ، كما يقدر على مواجهة النوازل والمستجدات العصرية ، فيأخذ بأيدي طلابه إلى بر الأمان ، ويمكن إعداده من خلال ما يأتي:

- إكسابه مهارات التعامل مع المستجدات والتصدى لشبهات الملاحدة عن طريق دورات التنمية البشرية وغيرها.

- تحصين شباب الطلاب المبتعثين إلى الخارج من أفكار المشككين؛ حتى لا يتأثروا بها ثم ينقلونها إلى طلابهم بعد ذلك.

- تثقيف المعلم وتزويده بالمهارات الحياتية اللازمة.

- توفير الظروف المناسبة للمعلم حتى يتفرغ للقراءة والبحث والاطلاع على كل ما هو جديد في مجال تخصصه وفي المجالات الأخرى.

وبعد ، فإن من الأدوار الرئيسة للمؤسسات التعليمية بث العلوم النافعة الموافقة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ونشر الآداب الفاضلة ، وترسيخ الأسس الفكرية والعقدية بما تحمله من معاني الاعتدال والوسطية ، فهي تعد النموذج المصغر للمجتمع المتكامل[1].

ونلخص دور التعليم في مواجهة الإلحاد في النقاط التالية :

١- الاهتمام بمستوى التعليم، لبناء حصيلة معرفية قوية للطالب يستطيع من خلالها مواجهة الأفكار الهدامة عامة.

٢- الاهتمام ببناء العقل الناقد لدى الطلاب ، فإن أسلوب التلقين يعود الطالب على التبعية الفكرية ، ويضعف استقلاله الفكري ، مما يؤدي إلى سهولة استقطاب الشباب وإقناعهم بأي فكر مهما كان غثًّا.

٣- ينبغي أن يكون التعليم هو مصدر المعرفة الدينية لدى الطلاب، وهو الذي يضع القاعدة الأساسية التي يبنى عليها الإنسان بعد ذلك في

---

(١) انظر: خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد ، ص ١٢٦.

حياتـه المعرفيـة ، فـإذا اسـتقامت القاعـدة واعتـدلت اسـتقام البنـاء ، وإذا اعوجت اعوج البناء.

٤- أن تحتوى المناهج التعليمية الحد اللازم من المعلومات الدينية الصحيحة والوسطية، والتي يحتاجها الإنسان في دينه عقيدة وعبادة وسلوكًا.

٥- أن تكون المناهج الدينية باعثة على الإيمان ، تجمع بين تنشيط العقل والفكر من جانب، وتقوية العاطفة الدينية والمشاعر الروحانية من جانب آخر.

٦- وحدة الأهداف التي توضع من أجلها المناهج الدراسية الدينية والعلمية، بحيث تتعاون هذه المناهج في تحقيق الأهداف الموضوعة مسبقًا، ولا ينقض المناهج بعضها بعضًا.

ثالثًا: **تفعيل دور الدين في التنشئة والتعليم**:

لابد أن يكون للدين دور أساس في التنشئة الاجتماعية ، والمناهج التعليمية والتربوية ؛ لأن الدين هو السبيل الوحيد للإجابة عن الأسئلة التي تعترض طريق العقل في وصوله إلى معرفة ربه، ولذلك فهو شريك أساس في مواجهة الإلحاد.

فالعلم تخصص في دراسة الطبيعة وظواهر الكون ونظمه وقوانينه ومكوناته، دون البحث في أصل هذا الكون والحياة وعلة وجودهما، أما

الفلسفة فهي تبحث في الإجابة عن هذه الأسئلة، مستخدمة العقل المجرد للوصول إلى ذلك، وقد يظن البعض أن العلم والفلسفة يسدان احتياجات الإنسان المادية والعقلية والنفسية والأخلاقية، فلا حاجة للدين بعد ذلك، إلا أن وظيفة الدين وأهمية دوره تكمن فيما يلي:

١- أن الدين هو السبيل الوحيد لمعرفة الله (عز وجل) معرفة صحيحة ، ومعرفة مبدأ الكون وغايته ومآله، وكيفية علاقة العبد بربه.

٢- أن الدين يحدد سلوك الإنسان وينظم علاقته بالآخرين.

٣- أن الدين هو الذي يشبع الحاجات الروحية للإنسان، فإذا ضعف دور الدين في إشباع هذا الجانب فإنه يحل محله اللجوء إلى الدجل والخرافات.

٤- أن الدين يدفع الإنسان إلى طلب العلم وإعمال العقل، والأخذ بالأسباب، والربط بين الجانب التعبدي والجانب العلمي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1] .

لذا وجب أن تقوم التنشئة على أساس من الدين ، والتدرج بالمناهج حتى الوصول بالطالب إلى درجة يكون محصنًا فيها من شبهات الملحدين، ويستطيع أن يستوعب الرد على هذه الشبهات.

---

(١) سورة فاطر : ٢٨.

آليات تفعيل دور الدين في مواجهة الإلحاد:

يتجلى دور الدين في مواجهة الإلحاد من خلال النقاط التالية :

١- تجديد الخطاب الديني .

٢- دراسة الخطابات الدينية المختلفة والسائدة، وبذلك نصل لمعرفة الأزمة ووضع الاستراتيجيات لعلاجها.

٣- التأكيد على رجوع العلماء إلى النص ، واستنباط الأحكام منه ، ومعرفة أنه لا حرام إلا بنص ، فالتحليل والتحريم خاص بالله تعالى ، وما لا يوجد نص صريح فيه يبقى في مجال الاجتهاد ، وأن لا يطلق القول فيه بالتحليل والتحريم، كما كان يفعل الأئمة المجتهدون في الأمور الاجتهادية، فيقولون: أكرهه، ولا بأس به، ولا يقولون: حرام، أو حلال[(١)].

٤- تفعيل قاعدة تغير الفتوى بتغير ظروفها الأربع (الزمان والمكان والأحوال والأشخاص) ، وتجدد الاجتهاد في كل عصر، فلا بد لأهل كل عصر من اجتهاد جديد يتوافق مع متغيرات عصرهم ، ويحل مشكلاته.

٥- المحافظة على أساليب اللغة العربية وقواعدها في تفسير النصوص وتأويلها ، باعتبارها نقطة انطلاق في تجديد الخطاب الديني.

---

(١) انظر: الرد على سير الأوزاعي: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ، نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، ط الأولى، ص ٧٢-٧٣.

٦- معالجة المشكلات المثارة حول التراث، وعدم الاعتماد الدائم والكلى على القديم، وابتكار مناهج خاصة في تناول العلوم، مع الحفاظ على التراث بوصفه كحلقة من حلقات البناء المعرفي للأمة.

٧- التركيز على وسطية الإسلام، وتنقيح الفكر الديني مما شابه من إفراط أدى إلى التشدد، أو تفريط أدى إلى الانحلال.

٨- الاهتمام بالعقل ودوره سواء في فهم النص الديني، أو تعمير الكون، وشتى ممارسات الحياة.

٩- البعد عن الخرافة، والاهتمام ببناء العقلية النقدية لا العقلية الخرافية، فإن من أهم الأمور التي تؤدي إلى الإلحاد المغالاة في الخوارق التي يتسم بها بعض المتدينين.

وللمؤسسات الدينية دور فاعل في مواجهة ظاهرة الإلحاد، ويتم هذا بأمرين:

أ- إعلام الناس بفقه مقاصد الشريعة الغراء:

إن علماء الأمة هم رجالها الأوفياء ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، ورثوا العلم عن الأنبياء ، مصداقًا لقول المعصوم ﷺ: (إن العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإن الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا ، إنما ورَّثوا العلمَ، فَمَنْ أَخَذَ به أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[1] ؛ لذا

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، ٢/ ٣٤١، برقم ٣٦٤١.

جاء الحث على طلب العلم، وأنه فريضة على كل مسلم، وأن الله يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، كما بين القرآن الكريم أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1].

ولذا فإن دور العلماء كبير، ومسئوليتهم خطيرة؛ لأن عموم الناس يأخذون منهم القدوة، ويعتبرونهم المثل الأعلى في كل شيء، فيجب عليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم في بيان مقاصد الدين في شرع الإسلام، كما يبينون للناس أن الدين ليس سيفًا مسلطًا على رقابهم؛ لكنه النور الذي يخرجهم من ظلمات الجهالة، ويرفع عن كاهلهم نيران الخرافات، ويحقق لهم سعادة الدارين؛ لأنه شرع من خلق السموات والأرض، وعلى العلماء أن يثقفوا الدعاة والوعاظ بأحكام القضايا المعاصرة التي تستجد.

وإذا كنا في عصر العولمة نطالب بتجديد خطابنا الدينى في خطابنا للآخر، فإنه من باب أولى أن نجدد خطابنا لأنفسنا وذواتنا، وأن يكون المتصدون لدعوة الناس ووعظهم على قدر من العلم والفطنة ما يؤهلهم لإمامة الناس وتوجيههم.

فعلى الخطباء والواعظين أن يتوسطوا في خطابهم للناس، وأن ينزلوا

---

(١) سورة فاطر: ٢٨.

إلى واقعهم، بدعوتهم إلى الخير، إلى حسـن الجـوار، إلى حسـن المعاملـة، إلى الإخلاص في العمل، إلى نهضة بلادهم وعلو شأنها.

إن على هؤلاء الدعاة أن يبينوا للناس أن الإسلام يدعو إلى كل خير، وينهى عن كل شر، ويرتقي بالإنسان إلى مستوى رفيع، وينزهه عن كـل مـا يورث خللًا في العقيدة، أو مرضًا في البدن..، والإنسان المؤمن هـو الإنسـان السوي الذي يلتقـي في عقلـه وقلبـه مـنهج الله، وقـانون الفطـرة الإنسـانية الرشيدة، ويعيش سعيدًا بدينه مـع بنـى الإنسـان، يتعامـل بـالخير، ويـدعو بالحسنى، ويحب لأخيه ما يحبه لنفسه[1].

وعلى الداعية أن يبين للنـاس مـا أحـل لهـم ومـا حـرم علـيهم، يأخـذ بأيديهم إلى الله تعالى، يبين لهم أن الإسلام منهج حياة، وأن من شرعه الوسـطية في كل شيء ، فلا إفراط ولا تفريط، وأن من مقاصده العليا الحفاظ على العقل، والإكثار من التفكر في خلق الله في الأرض والسـماء؛ ولـذا فقـد حـرم كـل مـا يذهبه أو يضره، أو يأخذه بعيدًا عن الغاية التي لأجلها خلق، وأن يكـون قـدوة في كل ذلك.

ب- إعلام الناس بفقه الأولويات وفقه الموازنات:

وذلك من خلال تأسيس فقه الأمة في مقابل فقه الفـرد، الـذي سـيطرت

(١) أخلاق الأسرة المسلمة، د/ محمد سيد أحمد المسير، دار الطباعة المحمدية، سنة ١٩٩٦م، ص٤٣.

الفتوى وبيان الأحكام عليه قرونًا عديدة، وكان المستند في هذا ما أصـله الإمـام الشاطبى في كتابه «الموافقات»، وما دونه إمام الحرمين الجويني في كتابـه «غيـاث الأمم في التياث الظلم»، وغيرهما من الكتب التي عُنيت بهذا الشأن.

ويجب على علماء الأمة بيان صحيح الدين للناس وفق فقه الأمة ، وأن تكون فتوى العلماء بعد معرفة الواقع وكيفية إنزال النص عليه ، وأن يراعى في فتواه حال الأمة لا حال الفرد؛ لأن كثيرًا من الشباب الذين انحرفـوا عـن وسطية الدين أو تركوه بالكلية إنما كان انحـرافهم نتيجـة الفتـاوى الجامـدة والشاذة ، والتي لا تراعى مقاصد الشرع الحنيف.

رابعًا: تفعيل دور الأفراد في مواجهة ظاهرة الإلحاد:

للأفراد دور لا يقل أهمية عن دور الهيئات والمؤسسات في مواجهة ظاهرة الإلحاد، ويتمثل هذا الدور في محورين: الأول: وقاية الفرد نفسه من الوقوع في براثن هذه الظاهرة، والثاني: الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة؛ تحبيبًا للناس في خالقهم وحماية لأفكارهم ومعتقداتهم، ومن ثَمَّ دينهم.

(١) وقاية الفرد نفسه من الوقوع في الإلحاد:

إذا كان الناس عامة والمسلمون منهم على وجه الخصوص يسعون في هذه الحياة بجد واجتهاد؛ لتحقيق سعادتهم ورفاهيتهم ورفع مستوى معيشتهم في جميع جوانبها المادية، فإنهم مطالبون في الوقت نفسه بتحصين

أنفسهم وأبنائهم من التيارات الوافدة ، وبخاصة تلك التي تتعلق بالدين والمعتقد ، مثل تيار الحداثة وحملات التغريب والاستشراق، والتي قد تنتهي بالبعض إلى الشك في ثوابت دينه أو إنكار بعض نصوصه المقدسة ، أو محاولة تنحيتها عن حياته، مما قد يجره إلى ما لا تحمد عقباه من الوقوع في إنكار الدين ، ويتمثل هذا التحصين فيما يلي:

أ- التحصين المادي: ويكون ذلك من خلال عدة أمور، من أهمها:

- تفعيل دور الزكاة :

وهذا التحصين عن طريق تفعيل دور الزكاة، وأن في المال حقًّا سواها، فإن الفقر مع وجود الجهل وتفشى المرض من أسباب ضعف الإيمان، والذي قد ينتهي ببعض الناس إلى إنكار وجود الخالق والكفر به سبحانه ؛ ولذا لا نتعجب إذا رأينا نبينا المصطفي ﷺ يستعيذ من الكفر والفقر في الصباح والمساء.

وغياب ركن الزكاة وعدم فقهه عند كثير من المسلمين أسهم في انتشار الفقر والمرض والجهل ، وهي الركن الذي يعمل على وجود التكافل الاجتماعي بين الناس، فقد شرعت الزكاة لتحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وجعلها الله سبحانه ركنًا من أركان الدين لأهميتها في حفظ

استقرار المجتمع، وراحة أبنائه.

ومصارف الزكاة حددها الله تعالى بقوله في سورة التوبة: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(1)، وهم ثمانية أصناف، وجعل أول هذه الأصناف الفقراء والمساكين، وهم الذين لا يجدون ما يسد رمقهم ، فضلاً عن أن يحيوا حياة كريمة، فيقوم المسلمون بإعطاء هؤلاء من أموال الزكاة ما يحفظ لهم حياتهم ويكفيهم ذل السؤال ، ومن ثَمَّ يحفظون عليهم دينهم ، ولا يكونون عرضة لمن يستغلون فقرهم ، أو يذهبون بهم كل مذهب.

ولا شك أن الإسلام حين جاء ووجَّه عنايته الأولى إلى تلك الفئات المحتاجة، وجعل لهم النصيب الأوفر من أموال الزكاة خاصة، وفي موارد الدولة عامة، وكان هذا الاتجاه الاجتماعي الرشيد سبقًا بعيدًا في عالم المالية والضرائب والإنفاق الحكومى لم تعرفه الإنسانية إلا بعد قرون طويلة .

- الإنفاق في حدود الشرع:

وليس معنى احترام الإسلام للملكية الفردية أن ينفق الإنسان ماله فيما يريد أو يهوى، ولكن الإنفاق محدود بالشرع، فإذا جمع المال من حلال،

(1) سورة التوبة: ٦٠.

فعليه أيضًا أن ينفقه في حلال؛ لأن «الإنفاق والتثمير وظيفة اجتماعية جعلها الإسلام تكليفًا شرعيًّا، بل جعل وجوب الإنفاق من مقتضى الإيمان بالله ورسوله» [1] يقول الله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [2]، يقول الفخر الرازى: «وإن الفقراء عيال الله... والأغنياء خزان الله؛ لأن الأموال التي في أيديهم أمواله، ولولا أن الله تعالى ألقاها في أيديهم لما ملكوا منها حبة... فليس بمستبعد أن يقول الملك لخازنه: اصرف طائفة مما في تلك الخزانة إلى المحتاجين من عبيدى» [3].

وبهذا يظهر جانب من وظيفة المال الاجتماعية في نظر الشريعة، وهي الإنفاق في سبيل الصالح العام، والاستخلاف - كما مر - يقتضى امتثال أمر المستخلف الأصيل في الإنفاق في الوجوه المرسومة، والإنفاق في غير هذه الوجوه تعسف وظلم، كما أن الإيمان يقتضى الامتثال في التصرف حسبما سنَّ الله تعالى ورسم [4].

من هذا المنطلق وجدنا السُّنة المطهرة تقرر «أن في المال حقًّا سوى الزكاة»، وذلك تقريرًا لحق الجماعة في مال الفرد ، لا سيما وقت الضرورة

---

(١) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ، لفتحى الدريني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص١٦٤.

(٢) سورة الحديد: ٧.

(٣) تفسير الرازي ، ١٦/ ٨٠ .

(٤) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ، ص١٦٤.

حين يداهم البلاد خطر محدق ، أو يخلـو بيـت المـال مـن الأمـوال ، أو تقـع كارثة عامة ، أو يتعرض الناس لأي نوع من الأخطار.

يقول القرطبى: «واتفق العلماء على أنه إذا نزلـت بالمسـلمين حاجـة بعد أداء الزكاة، فإنه يجب صرف المال إليها، قال مالك رحمه الله: يجـب عـلى الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم ، وهذا إجماع» (1).

ب ـ التحصين الثقافي: وذلك بأن يقبل الأفراد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة المطهرة قراءة وحفظًا وتدبرًا وفهمًا، فهما الحصن الواقى للشباب من الوقوع في هذا الخطر الداهم ، والوقاية خير من العلاج.

وأن يطلب الأفراد العلم الشرعي الأصيل على أيـدى الراسـخين فيـه من العلماء الربانيين المتخصصين ، وأن يعتنوا بالرسوخ العلمى الذي يناقش تفاصيل القضايا العقديـة والفكريـة القديمـة والمعـاصرة، وهضـم المسـائل الفلسفية وأصول الأفكار بدراسات جادة ومتخصصة في هذا المجال.

وعلى الأفراد أن ينظروا عمن يأخـذون ديـنهم ، وأن يـزوروا المراكـز المتخصصة والمعتمدة في رصد الأفكار الشاذة والمنحرفة التي تبث في مواقـع

---

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤م، ٢/ ٢٤٢.

النت وكتابات الكتاب والرد عليها، حتى يحصنوا أنفسهم وغيرهم من الوقوع في براثن الأفكار الهدامة .

كما ينبغي تعميق الصلة مع المراكز المهتمة بجوانب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وتكميلها بأبحاث مواجهة الإلحاد، حتى تكتمل الصورة في ذهن المهتمين في هذا الشأن ، مع الاعتناء بمباحث «دلائل النبوة»، والتي هي جزء من الإعجاز الذي يرسخ الإيمان واليقين بصحة الرسالة المحمدية، مما يحفظ الفرد من التأثر بأفكار الملحدين ، إلى غير ذلك من الوسائل التي تحفظ للأفراد دينهم وتحميهم من الحملات المغرضة التي تسعى لهدم الدين أولا، ثم القضاء على الإنسان نفسه بعد ذلك.

أهمية الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة :

الدعوة لغة: تعني النداء والطلب [1]. والدعوة إلى الله تعالى معناها: نداء الناس إلى الله سبحانه وتعالى، وطلبهم ليؤمنوا به ويتبعوا شريعته، والرسل جميعًا دعاة بهذا المعنى؛ قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ

(١) المعجم الوسيط، مادة (دعو).

وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[1].

والدعوة إلى الله تعالى مطلوبة، بل واجبة؛ لأنها تعليم وتربية، وعليها عماد السعادة في الدنيا والآخرة، وقد أمر الله سبحانه بها نبيه فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[2]، وأمر بها المؤمنين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[3].

كما أمر بها رسولنا ﷺ حين قال: « بَلِّغُوا عَنِّى وَلَوْ آيَة »[4]، ومع الأمر بها رغّب الإسلام فيها كثيرًا وشجع عليها، وجعلها عنوان شرف الأمة وخيريتها، فقال جل شأنه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[5].

وحذر الإسلام من التهاون والتقصير فيها، وذمَّ أقوامًا بذلك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بنى إسرائيل، حديث رقم ٣٢٠٢.

(٥) سورة آل عمران: ١١٠.

لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[1].

والمقصود بالدعوة إلى الله تعالى في هذا البحث: هي كل دعوة هدفها تعريف الناس بخالقهم، وتقريبهم إليه، وتعريفهم بأحكام شريعته السمحاء، وعليه فيندرج فيها: الدعوة إلى تعليم القرآن الكريم، وبيان أحكامه، وتفسيره ، والعلوم التي دارت حوله، ويدخل فيها أيضًا: الخطابة، ودروس العلم الشرعي؛ سواء كانت ندوات أو محاضرات، أو أمسيات دينية، ونحو ذلك.

كما يندرج فيها أيضًا: الأمور المتعلقة بالحديث النبوى الشريف وعلومه، ونحو ذلك من العلوم المتعلقة بدين الله تعالى من عقيدة وشريعة وأخلاق وعبادات ومعاملات، فالقرآن والسنة الصحيحة من مشكاة واحدة.

فالدعوة إلى الخير توجه لكل إنسان ومن كل إنسان، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا بد أن يرى المدعو في الداعية أنموذجًا عمليًّا لما يدعو إليه؛ وذلك من خلال سلوكه وأفعاله؛ لأن الناس تؤمن بشخصية الداعي

(١) سورة المائدة: ٧٨-٧٩.

قبل إيمانهم برسالته ودعوته.

والمراد هنا دعوة الناس إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والبعد عن الرذائل، وكل ما من شأنه أن يحط من كرامة الإنسان ومكانته السامية التي خلقه الله عليها، أما الدعوة بالمعنى الخاص، أعنى تعليم الناس أمور دينهم والأخذ بأيديهم إلى خالقهم عن طريق العلم الشرعى، فلا شك أن هذا يحتاج إلى أهل الاختصاص والعلماء المعتبرين ، حتى لا يقتحم حقل الدعوة مَنْ ليس أهلًا فيكون ضرره أكثر من نفعه.

والدعوة إلى الله تعالى بلا شك هي الحصن المنيع ، والسد القوى الذي تتحطم على أسواره هجمات وحملات الإلحاد؛ لأنها تأخذ بأيدى الناس إلى خالقهم ، وتطمئنهم على مصيرهم ، وتحقق لهم سعادة الدنيا بالرضا بقدرهم بعد الإيمان به إيمانًا راسخًا ، كما تحقق لهم سعادة الآخرة الأبدية بإقبالهم على طاعة ربهم ، والعمل بما يرضيه ، والبعد كل البعد عما يغضبه ، هذا فضلًا عما تحققه من حماية الأفراد والمجتمعات من استشراء هذه الظاهرة الخطيرة؛ ظاهرة الإلحاد البغيض الذي إن انتشر يقضى على الأخضر واليابس ويقوض صروح الأمم.

* * *

الطرق العلاجية لمواجهة الإلحاد

إن علاج قضية الإلحاد هو جزء من الوقاية منه ، سواء كان ذلك بمحاولة إعادة من ألحد إلى حظيرة الإيمان ، أو مواجهة دعاة الإلحاد برد شبههم ؛ لأن هؤلاء يبثون أفكارهم في عقول أفراد المجتمع ؛ لذا فمقاومتهم هو جزء من وقاية غيرهم من الوقوع في الإلحاد والشك .

ونستطيع أن نواجه ظاهرة الإلحاد من خلال العناصر الآتية:

أولا: دور المؤسسات الدينية.

ثانيًا: دور المؤسسات الثقافية والتعليمية.

ثالثًا: دور وسائل الإعلام .

رابعًا : اتباع منهج الحوار والإقناع ، ودوره في رد شبهات الإلحاد.

أولا: دور المؤسسات الدينية :

لا شك أن للمؤسسات الدينية دورًا مهمًّا في مواجهة ظاهرة الإلحاد ؛ لما لهذه المؤسسات من مكانة في قلوب الناس ، وتأثير قوى من خلال التواصل المباشر معهم عبر الخطب ، والدروس ، والقوافل ، والمحاضرات والإصدارات ، والندوات ، والمؤتمرات التي تُعقد لتصحيح المفاهيم الخاطئة، ونشر الوعي ، ومحاربة التطرف ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، وإظهار المقاصد السامية للشرائع السماوية ، وبيان أنها لا تتعارض مع

الفطرة السليمة ، يقول تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (1) .

ولا شك أن الشرائع السماوية قد أجمعت على ما فيه خير البشرية ، وما يؤدي إلى سلامة النفس والمال والعرض ، وقيم العدل ، والمساواة ، والصدق ، والأمانة ، والحلم، والصفح ، وحفظ العهود ، وأداء الأمانات ، وصلة الأرحام ، وحق الجوار ، وبر الوالدين ، وحرمة مال اليتيم ، وصالح البلاد والعباد ؛ فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله ، وهي مبادئ إنسانية عامة لم تختلف عليها الشرائع السماوية ، ولم تنسخ في أي شريعة منها.

وفي ضوء ما تمر به منطقتنا من استهداف متعدد الجوانب من خلال حروب الجيل الرابع التي تهدف إلى تمزيق المجتمعات وتحللها في جميع الجوانب قيمًا وأخلاقًا بشتى السبل: بالإرهاب المصنوع ، والإلحاد الموجه أو الممول ، وإثارة النعرات العرقية أو القبلية أو الطائفية ، فصار الإلحاد موجهًا ومسيَّسًا وممولًا ، قصد الإسهام في إحداث حالات الفوضى والإرباك ، فإنه لا أحد ينكر الخطوات الملموسة التي تقوم بها المؤسسات الدينية في تصحيح الكثير من الأفكار المغلوطة ، وتجديد الخطاب الديني ، واسترداده بعد ما كان مختطفًا لعقود طويلة ، مع تأكيدنا على أننا في حاجة إلى تكامل الأدوار

(1) سورة الروم : ٣٠..

وتنسيقها ، وبذل المزيد من الجهد والعطاء المشترك في معالجة سائر الظـواهر السلبية ، وترسيخ المفاهيم والقيم الإيجابية.

كما ينبغي أن تتسع دائرة هذا التنسيق لتشمل سائر الوزارات والهيئات والمؤسسات العربية والإسلامية المعنية بالفكر وبناء الشخصية لمواجهة كـل هذه التحديات .

وهذا يتطلب من كل عقلاء الأمة وحكمائها والوطنيين الغيورين عـلى دينهم وأوطانهم أن يفطنوا لكل هذه المخططـات الخبيثـة المشـبوهة التـي لا تخدم سوى أعداء الأمة والقـوى الاسـتعمارية الطامعـة في منطقتنـا العربيـة وخيراتها ومقدراتها الاقتصادية والجغرافية ، ويستدعى منـا الوقـوف وقفـة رجل واحد في مواجهة كل هذه التحـديات ، والعمـل عـلى أرضـية إيمانيـة ووطنية وقومية مشتركة ، نعمل فيها بكل جد وحسم على مواجهـة الإلحـاد وتفنيد شبه الملحدين .

ومن بين ما قامت به وزارة الأوقاف المصـرية لمواجهة ظـاهرة الإلحـاد نذكر ما يلي:

١. العمل من خلال الخطب والـدروس والنـدوات والمقـالات الصحفية والأحاديث الإعلاميـة والقوافـل الدعويـة والـدورات التدريبية والمدارس العلمية والقرآنية على تقوية الحـس الإيـماني ، وتحصين النشء والشباب من مخاطر الفكر الإلحادي .

٢. عقد دورات تدريبية لشباب الأئمة عن " مداخل الإلحاد ومهارات التواصل والحوار ".

٣. إقامة صالون الأوقاف الثقافي ، تحت عنوان " الإلحاد أسبابه ومخاطره ؟ وهل هو ظاهرة أو عرض؟.

٤. إقامة " ملتقى الفكر الإسلامي" تحت عنوان : " بين التطرف والإلحاد " .

٥. عقد العديد من الندوات والمحاضرات العلمية الكبرى تحت عنوان : "مخاطر الإلحاد وسبل مواجهته".

٦. التعاون مع وزارة الشباب والرياضة في مبادرة "بالعقل كده" من أجل حوار هادف موجه ، وتفنيد شُبه الملحدين بالحجة والبرهان .

ثانيًا: **دور المؤسسات الثقافية والتعليمية**:

لهذه المؤسسات تأثير كبير في نفوس الجماهير ، ولا شك أن معالجة ظاهرة الإلحاد والتصدي لها – من الناحية الثقافية والتعليمية – يقع على عاتق الكتاب والأدباء والمفكرين والمعلمين ، كما يقع على عاتق أهل الفن والمسرح ، وكتاب الرواية والفنانين التشكيليين ونحوهم ممن لهم باع كبير في هذا المجال ؛ حيث إن لهم جمهورًا كبيرًا من المتابعين الذين يتأثرون بما يقدمون من أعمال ، وواجب هؤلاء خطير؛ حيث إنه من الواجب عليهم أن

يقدموا ما يخدم دينهم وعقيدتهم وأوطانهم ، كما يجب أن يتصدوا – من خلال أعمالهم – للهجمات الفكرية الشرسة التي تتعرض لها العقيدة ؛ حتى يحصنوا الشباب من الحملات الوافدة ، وبخاصة تلك الأعمال التي غزت بيوتنا جميعًا بعد عصر السموات المفتوحة ، والتي يعبر بعضها عن ثقافات وقيم مختلفة ، ربما تنال من قيمة الدين ومكانته فضلاً عن إنكاره .

إن دور الأدب – من شعر ونثر وأعمال فنية – لا ينكر في مواجهة ظاهرة الإلحاد ، فالأعمال الفنية لها تأثير كبير في نفوس الصغار والكبار على حد سواء ، فالأدب والمسرح والفن التشكيلي والرواية والقصة القصيرة وغيرها من الفنون الجميلة مثلها مثل غيرها من الوسائل ، فيمكن أن تكون حائط صد ضد الأفكار المنحرفة الواردة والمحلية.

كما أن دور العلم والعلماء وواضعى المناهج دور عظيم في تشكيل الوعي العلمي والبحثي لدى المجتمع ، على أسس منهجية ، بما يمكنه من مواكبة العصر وإنجازاته ، والمشاركة في صناعة أحداثه وحضاراته الحديثة، دون انبهار يُخلِّف عجزًا ، أو يأس يُخلِّف انسلاخًا عن الذات والهوية والحضارية.

لذا وجب على المسئولين عن الثقافة والتعليم أن يتعاونوا مع المؤسسات الدينية ووسائل الإعلام؛ من أجل حماية مجتمعنا عامة وشبابنا خاصة من الانجراف أو الانحراف نحو هذه الأفكار الشاذة والمعتقدات

الباطلة، التي تنتهي حتمًا بها لا تحمد عقباه ، وأن يقدموا المحتوى الذي يحمى العقيدة ويدافع عن الدين ويخدم الوطن.

ثالثًا: دور وسائل الإعلام:

لا ينكر أحد أن للإعلام فعل السحر في نفوس الناس وعقولهم وقلوبهم، وقد سمعنا ورأينا وشاهدنا أن وسائل الإعلام تؤثر في جميع طوائف الشعب، كبيرهم وصغيرهم على حد سواء ، كما أيقنا أنها قد تكون سببًا في رفع أقوام وخفض آخرين؛ وذلك من خلال وسائله المعهودة، مقروءة كانت أو مسموعة أو مرئية.

وإذا كنا في بحث الحلول العملية لأزمة انتشار ظاهرة الإلحاد نقرر أن لوسائل الدولة وأجهزتها المختلفة دورًا ذا أهمية بالغة في مواجهة هذه الظاهرة، فإن الإعلام أحد أهم هذه الوسائل.

فللإعلام دور في الدعوة إلى نشر الفضيلة من خلال الدعوة إلى تيسير الدين وفهمه فهمًا صحيحًا يتواءم مع روح العصر ومقتضياته، وبيان أهميته للناس في تحقيق سعادة الفرد واستقرار المجتمع.

ويمكن لوسائل الإعلام المختلفة أن تتبنى حملة لتوعية الشباب بمخاطر الإلحاد على الفرد وعلى المجتمع ؛ حيث إنه انتهى بكثير من الناس إلى الانتحار وإنهاء حياتهم حين أدركوا أن وجودهم لا جدوى منه ، وأن حياتهم لا قيمة لها ، فهي والعدم سواء؛ لذا أقبلوا على الموت غير هيابين له ،

وبذلك يعملون على تقويض مجتمعاتهم وتدميرها بدلًا من الحفاظ عليها وإسعادها.

ويدخل في نطاق هذه الحملة توعية الناس بضرورة فهم مقاصد الدين، وأنه شرع أحكم الحاكمين الذي جاء لتحقيق سعادتهم في الدنيا وفوزهم وفلاحهم في الآخرة.

ومن ضمن وسائل نشر الفضائل بين الناس عدم نشر الفاحشة في المجتمع، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) وذلك لأن إشاعة الفاحشة في المجتمع تؤدي إلى زعزعة ثقة الناس بالخير والعفة والنظافة ، وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفواحش، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيه، وبذلك تشيع الفاحشة في النفوس؛ لتشيع بعد ذلك في الواقع؛ من أجل ذلك توعَّد الله سبحانه من يشيع الفاحشة في المؤمنين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

رابعًا: اتباع منهج الحوار والإقناع ودوره في رد شبهات الإلحاد:

إن من أفضل طرق العلاج طريقة الحوار والإقناع ، ومقارعة الحجة بالحجة، بحيث نقدم الأدلة التي تفكك مذهب الملحدين وتنقض شبهاتهم،

---

(١) سورة النور: ١٩.

فقد استخدم القرآن الكريم منهج الحوار في إقامة الحجة على الخصم ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (1)، وبجانب الرد على الشبهات الخاصة بكل فرد، فهناك محاور عامة لابد أن يتناولها الحوار، من أهمها:

المحور الأول: ويخص مسألة بدء الكون والرد على الدارونية ، والقول بالصدفة والتطور، وإقامة الحجة على القول بالخلق.

ولا بد أن نفهم ونحن نحاور الملاحدة أنهم ينطلقون في قضاياهم الأساسية – كالقول بأن الكون نشأ تلقائيًّا، وأن الحياة وجود مادي، وأن العقل البشري من نتاج الانتخاب الطبيعي– من الاعتقاد لا من العلم، فهم يؤمنون بهذه الأفكار دون دليل علمي أو فلسفي (2).

بل إن عامة المجتمع العلمي تؤمن بالخلق (3)، وقد دفعهم إلى ذلك

---

(1) سورة البقرة: 258.

(2) رحلة عقل، د/ عمرو شريف ، ص41.

(3) انظر: الله يتجلى في عصر العلم: تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف على إخراجه : جون

القول بنظرية «التصميم الذكي»، هذه النظرية التي دفعت أحد كبار الملاحدة في القرن العشرين للاعتراف بوجود إله، وهو «أنتونى فلو»؛ حيث اعترف في آخر عمره بوجود إله، وكتب كتابًا بعنوان «هناك إله» استعرض فيه تجربته من الإلحاد إلى الشك إلى اليقين.

وعلى ذلك فإن الرد على حجج الملاحدة في هذا الجانب ستكون بآراء هؤلاء العلماء، والتي أدت اكتشافاتهم العلمية إلى نقاط تنقض نظرية الإلحاد من جذوره ، وأهم هذه الاكتشافات، والتي دفعت فيلسوف كأنتونى فلو إلى القول بوجود إله ، ما يلي:

أولًا: أن الكون له بداية ونشأ من العدم (وهو ما أثبته علماء فيزياء الكم).

ثانيًا: أن الطبيعة تسير وفق قوانين ثابتة ومترابطة.

ثالثًا: نشأة الحياة بكل ما فيها من دقة وغائية، من المادة غير الحية.

رابعًا: أن الكون بما فيه من موجودات وقوانين ، يهيئ الظروف المثلى لظهور الإنسان ومعيشته على الأرض ، وهو ما يعرف بالمبدأ البشرى.

خامسًا: أن القدرات العليا للعقل لا يمكن أن تكون نتاجًا مباشرًا للنشاط الكهروكيميائي للعقل[1].

كلو فرمو نسيما، ترجمة: د/ الدمرداش عبدالحميد سرحان، دار القلم بيروت ، لبنان ، ١/ ٤٢.

(١) رحلة عقل، د/ عمرو شريف، ص٧٥، وهناك إله، ترجمة: د/ صلاح الفضلى، طبع بواسطة

إن العلم الحديث قد وجه أقوى صفعة للإلحاد والملحدين، حينما أثبت مؤسسو فيزياء الكم أمرين مهمين:

الأول: أن للكون بداية وأنه ليس أزليًّا ، وترجع بدايته إلى ما يقرب من ١٣.٧ بليون سنة مضت.

والثاني: أن الكون نشأ من عدم ، عن طريق الانفجار العظيم ، وهو ما يدعم حجج المؤمنين منذ القدم.

«البرهان الكونى» التصميم الذكى:

وبناءً على ما سبق يصاغ برهان «التصميم الذكي»، وهو قائم على أن «دقة بناء الكون وما عليه من الطبيعة من نظام وانتظام يشير إلى مصمم ذكى»، فالكون على عظمه واتساعه وتنوعه، يخضع لقوانين مترابطة مع بعضها باتساق وانتظام، وهذا الاتساق والانتظام هو ما يعطي قوانين الطبيعة دلالتها على الخالق[1].

برهان « فترة الترك»:

وقد يحاول الملحدون التملص من هذه الحقيقة عن طريق القول بأن الكون بما فيه من مادة وطاقة - والذي بدأ من لا شيء ، أو كما يقول علماء الفيزياء الحديثة: إن مستوى الطاقة عند بدء الكون صفر- نشأ تلقائيًّا دون

المترجم، ط الأولى، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م، ص١٠٦.

(١) رحلة عقل، د/ عمرو شريف، ص ٨٣، ٨٤، وهناك إله، ص١١٥.

حاجة إلى موجد، وهو ما يرفضه علماء الفيزياء.

فيكون الرد عليهم بدليل فلسفي وهو ما سماه ريتشارد سوينبرن برهان «فترة الترك»، والذي أخبر صاحبه أنه استفاده من علماء الكلام المسلمين، ومفاده: «إذا كان العدم يمتد إلى ما لا نهاية في القدم، وإذا كان للكون بداية، فلم نشأ الكون في هذا الوقت الذي نشأ فيه؟ لم تُرك الكون دون نشأة لفترة، ثم حدث في وقت ما في الزمن اللانهائى أن خرج الكون للوجود، لابد أن هناك عاملًا مرجحًا دفعه للوجود»[1].

المحور الثاني: ويختص بالرد على مشكلة الشر وتعلق الفعل الإلهي به.

فإن هذه المسألة من أسباب الاندفاع نحو الإلحاد، يقول "أنتونى فلو": «يمثل إحساسى بمعضلة الشر والألم أحد العوامل المبكرة وراء اندفاعى تجاه الإلحاد»[2]، وقد قادت هذه الشبهة الكثيرين إلى الإلحاد، فكيف يكون هناك إله ويسمح بكل هذه الشرور.

والحقيقة أن مسألة الشر لا تتعلق بمسألة وجود الإله بل بصفاته، لذا فإن علماء العقيدة من المسلمين أدرجوا هذه القضية في الحديث عن عموم إرادته تعالى، وفي الحديث عن أفعاله تعالى[3]، فوجود الشرور والآثام

---

(١) رحلة عقل: عمرو شريف، ص ٨١، ٨٢.

(٢) رحلة عقل: عمرو شريف ، ص٤٨، وهناك إله، ص ٥٩.

(٣) انظر: شرح المقاصد، سعد الدين التفتازانى، تحقيق د/ عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت-

والنقص في الكون ليس دليلًا على إنكار وجود الله.

والحقيقة أن أهل الأديان قد ردوا على هذه الشبهة بوجوه، منها:

١- أن الإنسان خلق مختارًا ومسئولًا عن أفعاله، ووجود الشر في الكون ضرورة ناتجة عن اختيار الإنسان، وهي ابتلاءات للإنسان، فالآلام التي وقعت للإنسان إما أن تكون بسبب وزر فعله فهي تكفير لذلك الوزر، أو تكون من الله تعالى فيعوض عنها يوم القيامة ، أو تكون من إنسان لإنسان فيقتص من الظالم للمظلوم يوم القيامة[١].

٢- استناد الملاحدة في إنكارهم لله على وجود الشرور والآثام؛ لأنه يؤدي إلى نقص في الإله، يرد عليه بفروض عقلية ثلاثة:

١- أن يوجد إله قدير ولا يخلق شيئًا.

٢- أن يكون إلهًا قديرًا ويخلق عالمًا يماثله في الكمال.

وهذان الفرضان مستحيلان.

٣- ويبقى الفرض الثالث وهو عالمنا هذا بما فيه من نقائص وآلام، وتصور هذا الفرض أقل صعوبة من تصور الفرضين الأوَّلين.

لبنان، ط الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٤/ ٢٦٥.

(١) انظر: شرح المواقف: الشريف الجرجاني، مع حاشية السيلكوتي والجلبي، مطبعة السعادة، مصر، ط الأولى، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، ٨/ ١٩٨.

وتوضيح ذلك أن الإله القدير الذي لا يخلق شيئًا كما هو الحال في الفرض الأول نقيصة لا تستقيم في التعبير ولا في التفكير ؛ لأنه لا معنى للقدرة إلا أنها اقتدار على عمل من الأعمال، وأن الكمال المطلق الذي يخلق كمالًا مثله كما في الفرض الثاني نقيصة لا تستقيم أيضًا في التعبير ولا في التفكير؛ لأن الكمال المطلق صفة منفردة لا تقبل الحدود ، ولا أول لها ولا آخر، وليس فيها محل لما هو كامل وما هو أكمل منه ، وبديهي أن يكون الخالق أكمل من المخلوق ، وأنه لابد من نقص في المخلوق يتنزه عنه الخالق... وعلى هذا فوجود الشر في العالم لا ينافي صفة الكمال والقدرة الإلهيين ، وهو من غير شك أقرب إلى التصور من الفرضين السابقين» (١).

ويوضح «أنتوني فلو» ما اقتنع به في مسألة الشر فيقول: «ينقسم الشر إلى نوعين، نوع من كسب الإنسان، ويعود إلى ما يشوب النفس البشرية من نقائص، فالإله ترك المجتمعات لإرادة وفعل واختيار الإنسان ، الذي كثيرًا ما يُنزل بأخيه الضر، والأذى ، والألم ، وهناك شر لا دخل للإنسان فيه ، كالزلازل والفيضانات والأمراض ، وقد أمكنني أن أستوعب وقوع هذه الشرور داخل منظومة الإله الخير ، من خلال تفسيرات:

١- أن الطبيعة بها من القوانين ما يسمح بوقوع الزلازل والأعاصير

---

(١) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مواجهة التيار الإلحادي ، د/ محمود عبد الحكيم عثمان، ص٢٥١، ٢٥٢.

وغير ذلك من الكوارث ، وفي الوقت نفسه لا يمكن ترك الطبيعة دون هذه القوانين ، وإلا لخضعت لوجود الفوضى والعشوائية ؛ أي أننا نعيش في إطار السبب والنتيجة لهذه القوانين.

٢- تدفع هذه التحديات الطبيعية الإنسان إلى بذل الجهد لمواجهتها، مما أدى لترقٍّ مادي وتقدم حضاري ملحوظ.

٣- يؤدي ما يواجهه الإنسان من هذه الابتلاءات والمحن إلى ترقٍّ روحيٍّ وقيمي نستشعره عند مواجهة المحن.

٤- لا شك أن منظور الديانات في الحياة بعد الموت ، وما يحققه صبر الإنسان على البلاء من ثواب وترق في الحياة الأخرى هو التفسير الأكمل لمعضلة الشر والألم»[1].

واستنادًا إلى ما سبق نؤكد على أمرين:

الأول: وهو أن التطور ليس بديلًا عن الإله ، فالتطور بوصفه نظرية قد تفسر بعض المسائل العلمية، ولكنها تعجز عن تفسير الغاية من الكون والحياة، وكيف نشأت الحياة من المادة غير الحية ، وكذلك تفسير الوعي والتفكير وغير ذلك ؛ ولذا فإن صاحب نظرية التطور نفسه والذي اتهم بالإلحاد، قد وقف عاجزًا أمام ذلك؛ ولذا فقد ذكر في سيرته الذاتيه إيمانه بوجود إله ، فقال: «العقل يقول لي: إنه من الصعب بدرجة كبيرة بل من

---

(١) هناك إله: أنتونى فلو، ص ١٢٤.

المستحيل ، أن ندرك هذا الكون الهائل والرائع ، بما في ذلك الإنسان مع قابليته على النظر إلى الماضى البعيد والذهاب بذهنه إلى المستقبل البعيد، ليقول بعد ذلك بأن هذا الكون حدث بالصدفة العمياء ، أو الضرورة ، عندما أتأمل بذلك أجد نفسى مضطرًا للميل إلى السبب الأول الذي يمتلك عقلًا ذكيًّا يشابه بدرجة ما الإنسان، عندها أستحق أن أوصف بالموحد» [1].

وأيضًا فإن كثيرًا من التطوريين قد أفسح المجال للدين وللقول بوجود إله مثل «هربرت سبنسر»، حيث يقول: «إن المستحيل أصلًا تصور أن لا موضوع لمعرفتنا سوى الظواهر دون أن نتصور في نفس الوقت موجودًا تكون هذه الظواهر ممثلة له ، إننا في تصورنا للمتناهي نتصور الموجود والنهاية ، وفي تصورنا للامتناهي ننفي النهاية ولا ننفي الموجود» [2].

الثاني: أن لعلماء الكلام المسلمين، وجهودهم التي بذلوها لرد الشبه وإثبات الإيمان بالعقل أثر كبير؛ حيث إن أدلتهم التي صاغوها ما زالت تعين الملحدين للخروج من الشك إلى اليقين حتى الآن، وهذا يدل على قوة عقولهم، ونفاذ بصيرتهم، ولو قارنا بين أدلة المتكلمين والأدلة التي ذكرها أنتونى فلو لوجدنا تطابقًا، فدليل التصميم الذكى ما هو إلا دليل الاتساق

---

(١) نقلًا عن: هناك إله، أنتونى فلو، ص ٩٣.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، ص ٣٥٨، ٣٥٩.

والإتقان الذي استخدمه المتكلمون في إثبات الصانع وإثبات كون هذا الصانع عالمًا قادرًا[1].

أما برهان «فترة الترك» والذي ذكر صاحبه أنه استفاده من علماء الكلام المسلمين، فلا يخلو كتاب من كتب علماء الكلام عنه، وهو أنه لا يمكن «تخصيص العالم بوقته الذي أوجده فيه بلا مرجح مخصص، مع أن سائر الأوقات تساويه في صحة الإيجاد فيها»[2]، مدار عبارات المتكلمين وإن اختلفت على هذا الدليل، وهي أن يقال: «ما كان بعد أن لم يكن، واختص كونه بوقت أو تقدير وقت فلا يخلو: إما أن يقدر وجوده في الوقت المعين واجبًا أو يقدر جائزًا، فإن قدر مقدر وجوده في الوقت المخصوص واجبًا متعينًا، كان ذلك باطلًا من أوجه: أحدها أنه لو وجب له الوجود في وقت مخصوص لما كان هو بوجوب الوجود أولى من سائر ما يماثله، إذ من حكم المتماثلات استواؤها في الواجبات والجائزات ، فلو وجب الوجود لجوهر في وقت لزم ذلك في كل جوهر حتى توجد دفعة واحدة، وكذلك القول في الأعراض المتجانسة.. ومما يوضح ذلك أن تقدير وجوب الوجود في وقت كتقديره في وقت قبله أو وقت بعده، إذ الأوقات فيما يتعين متماثلة ،

---

(١) اللمع: أبو الحسن الأشعرى، تحقيق: أ/ حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م، ص ٢٤، التوحيد، أبو منصور الماتريدى، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ص ٢٠.

(٢) شرح المواقف، الشريف الجرجانى، ٣/ ١٣٧.

ووجه ادعاء الوجوب في بعضها كوجه ادعائه في سائرها»[(١)].

وكذلك ما استند إليه «أبراهام فارجيس» الذي كتب خاتمة كتاب «هناك إله» في الرد على شبهة الملحدين التي تقول: «إذا كان الإله قد خلق الوجود فمن خلق الإله» بأن ذلك مخل بالمنطق؛ لأنه يؤدي إلى التسلسل المستحيل عقلًا، وهو نفس ما استند إليه المتكلمون ومثبتو الإله من الفلاسفة[(٢)].

وينطبق أيضًا تصور أنتونى فلو عن الإله مع علماء الكلام المسلمين، فهو إله غير مادي خارج حدود الزمان والمكان؛ حيث منعوا أن يوصف الحق تعالى بما يفيد دخوله تحت حدود الزمان أو المكان، فلا يقال: إن الله خارج العالم أو داخله.

والمقام هنا ليس مقام تسجيل لموقف تفوق أو أستاذية لعلماء الكلام المسلمين، على علماء اللاهوت الغربيين، وإن كانت التلمذة قد حدثت بالفعل، وإنما هو إنصاف لعلماء الكلام، والإشارة إلى مجهودهم الضخم في هذا المجال، والذي لا يزال مؤثرًا ، في مواجهة التيارات المتطرفة فكريًّا وعقائديًّا[(٣)].

---

(١) الشامل في أصول الدين، أبو المعالى الجوينى، ص ٢٦٣.

(٢) هناك إله، أنتونى فلو، ص ١١٣.

(٣) انظر: الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته: د/ صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي،

وفي الختام لا بد أن نذكر أن عقيدة نفي الإله عند الملحدين غير حتمية، ولذلك فقد عنون «ريتشارد دوكنز» في كتابه «وهم الإله» لفصل بعنوان: «لماذا الاحتمال الأكبر هو عدم وجود إله»[1]، وذلك هو أكبر نقض وهدم لنظريات الإلحاد وأفكاره ؛ لأن الملحد هو الخاسر الأكبر إذا تحقق الاحتمال الضعيف – في وجهة نظره– بوجود إله ، أما المؤمن فلن يخسر شيئًا وقد ذكر القرآن هذه الحجة على لسان مؤمن آل فرعون حينما قال: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[2].

* * *

ص ٧٦، ٧٧.

(١) وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ترجمة: بسام البغدادى، ط الثانية، ص ١١٣.

(٢) سورة غافر: ٢٨.

المراجع

١) أخبار مكة ، الأزرقي ، تحقيق: رشدى الصالح ، دار الأندلس للنشر، بيروت.

٢) أخلاق الأسرة المسلمة ، د / محمد سيد أحمد المسير ، دار الطباعة المحمدية ، سنة ١٩٩٦م.

٣) الأدلة المادية على وجود الله ، الشيخ / محمد متولى الشعراوي ، دار أخبار اليوم ، القاهرة.

٤) أديان الهند الكبرى ، د/ أحمد شلبى، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الحادية عشر ، ٢٠٠٠م.

٥) إرشاد الساري ، القسطلاني ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر، السابعة، ١٣٢٣هـ .

٦) الاستخدام السلبى لشبكة الإنترنت وأثره في التفكك الأسري ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب، إعداد: نعمة محمد السيد عناني.

٧) الأسس اللاعقلية للإلحاد ، عمرو علي بسيوني ، إصدار مجلة براهين لدراسة الإلحاد.

٨) الإسلام في حياة المسلم ، محمد البهي ، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٣م.

٩) الإسلام والعقل ، عبد الحليم محمود ، دار المعارف.

١٠) الإسلام يتحدى.. مدخل علمي إلى الإيمان ، وحيد الدين خان،

تقديم: د/ عبد الصبور شاهين ، ترجمة : ظفر الدين خان ، د/ عبد الصبور شاهين ، الدار العالمية للنشر ٢٠١٤م.
١١) الإسلام يتصدى للغرب الملحد ، النشواتي ، ط. دار القلم ، دمشق.
١٢) أصل الأنواع ، نظرية النشوء والارتقاء ، تشارلز داروين ، ترجمة: إسماعيل مظهر ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ١٩٥٩م.
١٣) الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده ظهوره علاجه ، محمد الخضر حسين، تحقيق: محمد إبراهيم الشيباني ، مكتبة ابن تيمية – الكويت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٤) الإلحاد خطر كامن يُهدد الشباب (الحقيقة والأسباب والعلاج) ، د/ ضياء دويدار ، بحث منشور على شبكة الإنترنت .
١٥) الإلحاد مشكلة نفسية ، د/ عمرو شريف ، مراجعة : د/ أحمد عكاشة ط. نيو لوك للطبع والنشـر.
١٦) الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة ، لصالح إسحاق بامبا صالح رسالة دكتوراه ، جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية.
١٧) الإلحاد وأسبابه ومفاتيح العلاج ، محمد ناصـر ، ط. مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية ، العراق.
١٨) الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته ، د/ صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي ، دار اللؤلؤة ، بيروت- لبنان ، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

١٩) الإلحاد .. تعريفه وأشكاله ونشأته ، د/ خالد بن محمد الشهري ، مقالات على موقع الألوكة بالإنترنت.
٢٠) بناء الوعي ، أ.د/ محمد مختار جمعة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
٢١) تاج العروس ، مرتضى الزبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية .
٢٢) تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، لمحمد إبراهيم الفيومي ، دار الفكر العربي ، بيروت.
٢٣) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط الخامسة.
٢٤) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، لدى بور ، ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار النهضة العربية ، مصر.
٢٥) التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٨٤م.
٢٦) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٧) تمهيد للفلسفة ، أ.د/ محمود حمدي زقزوق ، دار المعارف بمصر.
٢٨) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته ، د/

زكريا الشربيني ، د/ يسرية صادق ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان.
٢٩) التوحيد ، أبو منصور الماتريدي ، تحقيق: فتح الله خليف ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية.
٣٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤م.
٣٢) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مواجهة التيار الإلحادي ، د/ محمود عبد الحكيم عثمان ، مكتبة المعارف ، الرياض.
٣٣) الجينية والبوذية عقائدهما والعلاقة بينهما ، د/ عبد الله محيي عزب ، حولية أصول الدين ، العدد: ٥.
٣٤) حالات فوضى الآثار الاجتماعية للعولمة ، معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧م.
٣٥) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ، فتحي الدريني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
٣٦) الخطر اليهودى .. بروتوكلات حكماء صهيون ، محمد خليفة التونسي تقديم: عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
٣٧) خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد ، أحمد خالد الطحان ، بحث على

موقع الألوكة ، الإنترنت.
٣٨) دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، أ.د/ زكريا إبراهيم ، مكتبة مصـر ، القاهرة .
٣٩) دراسة حقيقة نظرية دارون، د/ حامد إسحاق حوجة، مقال منشور بموقع الهيئة العالمية للكتاب والسنة على الإنترنت.
٤٠) الدور التنموي والتربوي للجمعيات الأهلية والتعاونية في مصر، عبد الغفار شكر، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٥م.
٤١) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، للشيخ /عطية صقر ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، مصر.
٤٢) رحلة عقل ، د/ عمرو شريف ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط الرابعة ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٤٣) الرد على الملحدين المسمى "الرد على الدهريين"، السيد جمال الدين الأفغاني ، نقله من الفارسية إلى العربية الشيخ / محمد عبده مفتي الديار المصرية ، مطبعة الموسوعات ، مصر.
٤٤) الرد على سير الأوزاعي ، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ، نشـر لجنة إحياء المعارف النعمانية ، حيدر آباد ، الطبعة الأولى.
٤٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، أبو منصور بن الأزهري الهروي ، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني ، دار الطلائع.

٤٦) سنن أبى داود ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت.
٤٧) سنن الدارقطنى، تصحيح: عبد الله هاشم المدني ، شركة الطباعة المتحدة ، المدينة المنورة .
٤٨) الشامل في أصول الدين ، أبو المعالي الجويني ، منشأة المعارف، الإسكندرية .
٤٩) شرح المقاصد ، سعد الدين التفتازاني ، تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط الثانية ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٥٠) شرح المواقف ، الشريف الجرجاني ، مع حاشية السيلكوتي والجلبي، مطبعة السعادة ، مصر، ط الأولى ، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م.
٥١) الشوقيات، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة .
٥٢) صحيح البخاري ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب ، القاهرة .
٥٣) صحيح مسلم ، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، مكتبة الحلبي ، مصر.
٥٤) علم نفس الإلحاد ، د/ عمرو شريف ، تقديم: أحمد عكاشة ، فرست بوك للنشر والتوزيع ، مصر.
٥٥) فتح الباري ، ابن حجر ، دار المعرفة ، بيروت .

٥٦) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، د/ أحمد فؤاد الأهواني ، عيسى البابي الحلبي ، ط الأولى ، ١٩٥٤م.
٥٧) الفكر العربي الحديث .. أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي ، رئيف خوري ، دار الساقي ، بيروت.
٥٨) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط الثامنة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٥٩) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، العز بن عبد السلام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة.
٦٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠٧ هـ.
٦١) الكليات الست .. رؤية عصرية ، أ.د/ محمد مختار جمعة ، وزارة الأوقاف ، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
٦٢) كهنة الإلحاد الجديد ، د/ هيثم طلعت على سرور صاحب موقع: لا إلحاد على الشبكة العنكبوتية ، تقديم : د/ عبد الله بن سعيد الشهرى.
٦٣) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر، بيروت، ط الثالثة،١٤١٤هـ.
٦٤) اللمع ، أبو الحسن الأشعري ، تحقيق: أ/ حمودة غرابة ، مطبعة مصر، ١٩٥٥م.
٦٥) الله يتجلى في عصر العلم ، لنخبة من العلماء الأمريكيين ، أشرف على

إخراجه "جون كلو فرمو نسيها" ، ترجمة: د/ الدمرداش عبد الحميد سرحان ، دار القلم بيروت ، لبنان.

٦٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الشيخ الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان.

٦٧) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

٦٨) المعجم الفلسفي، لالاند ، تعريب خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط الثانية، ٢٠٠١م.

٦٩) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٧٠) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار الأسد آبادي، الدار المصرية لتأليف والترجمة ، سلسلة تراثنا.

٧١) مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٧٢) مفهوم الفكر المادي ، أحمد عبده حمودة الجمل، بحث منشور ضمن حولية كلية أصول الدين بالقاهرة ، العدد الثاني عشر ، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٧٣) مقاصد الشريعة الإسلامية ، لابن عاشور ، تحقيق: محمد بن الخوجة، طبع سنة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

٧٤) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ابن زغبية ، رسالة دكتوراه ،

إشراف د/ محمد أبو الأجفان ، دار الصفوة ، مصر .

٧٥) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، يوسف حامد العالم ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

٧٦) المقدمة لابن خلدون ، تحقيق: خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، ط الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٧٧) الملل والنحل ، الإمام الشهرستاني ، تحقيق : أ / محمد سيد كيلاني ، مطبعة الحلبي ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م.

٧٨) من تاريخ الإلحاد في الفكر الإسلامي ، أ.د/ عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مصر ، ١٩٨٠م.

٧٩) موسوعة الأديان والنحل ، د/ أحمد أحمد غلوش ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ٢٠١١م.

٨٠) الموسوعة الإسلامية العامة ، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٨١) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة ، إعداد : مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ/ علوى بن عبد القادر ، الدور السنية ، ١٥٣٣هـ .

٨٢) النبأ العظيم .. نظرات جديدة في القرآن ، د/ محمد عبد الله دراز ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان.

٨٣) هناك إله ، أنتوني فلو ، ترجمة د/ صلاح الفضلى ، طبع بواسطة

المترجم، ط الأولى ، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
٨٤) واقع الأسرة في الغرب ، باتريزيا بيللوني ، مجلة البيان الإسلامية ، العدد : ٢٧٦، في ٦/ ١١/ ٢٠١٠م .
٨٥) وهم الإله ، ريتشارد دوكنز ، ترجمة : بسام البغدادي ، ط الثانية.
٨٦) اليونانية قبل سقراط ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، مصر.

* * *

□

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊



رقم الإيداع :